ديوان الخطب المنبرية العصرية

تأليف

محمد مصطفى أبو العلا
مدير التعليم الابتدائى والخاص المساعد بالأزهر الشريف

الجزء الثانى

الطبعة الثانية : مزيدة ومنقحة

الناشر
مكتبة القاهرة
لصاحبها - على يوسف سليمان
شارع الصنادقية * ميدان الأزهر بمصر
ص.ب ٩٤٦ تليفون ٩٠٥٩٠٩

فاتحـــة الجزء الثانى من الديوان

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حمداً يوافى نعمه ، ويكافىء مزيده ، وأشهد أن لا إله إلا الله ، الذى جعل الموعظة موقظة القلوب من سنة الغفلة ، ومنقذة للبصائر من سكرة الحيرة . ومحيية لها من موت الجهالة ، ومستخرجة لها من ضيق الضلال ، وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله ، خير من خطب ، ليعمل الناس الصالحات ، فيسلموا من الذنوب، ويفوزوا برفيع الدرجات، وعظيم الرتب، ﷺ وعلى آله وصحبه ، ومن اقتدى به .

(أما بعد) فهذا هو الجزء الثانى من ديوان الخطب المنبرية العصرية يعالج أدواء اجتماعية ، ويبدد ظلمات داجية ، ويهدى إلى صراط مستقيم ، والله تعالى التوفيق ،

محمد مصطفى أبو العلا

الشهير بحامد

تصدير الطبعة الثانيـــة

للجزء الثانى من الديوان

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله : جلّ جلاله ، وعمّ نواله ، وغمر جوده وأفضاله .

أحمده سبحانه ، وأشكر له : لنعم لا تحصى ، وأشهد أن لا إله إلا الله أسبغ علينا نعمه ظاهرة وباطنة ، وأشهد أن محمداً رسول الله المصطفى ، وحبيبه المجتبى ، خير من هدى ببيان جامع باهر ، يأخذ بمجامع القلوب والمشاعر ، ﷺ . وعلى آله وصحبه الكرام البررة ، ومن اتبعهم صادقاً مخلصاً .

أما بعـــد : فهذا هو الجزء الثانى من ديوان الخطب المنبرية العصرية ، فى طبعته الثانية ، مزيدة منقحة .

والله تعالى ، الذى وفق – لإخراجه بهيجا – أسأل أن يهدى به إلى سواء السبيل ، وينفع به النفع العميم ، إن ربى لسميع الدعاء .

٣ من شوال سنة ١٣٨٥ هـ

[illegible] من يناير سنة ١٩٦٦ م

محمد مصطفى أبو العلا

الشهير بجامد

١ — سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء[1] والمرسلين

الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره[2] على الدين كله ، وأشهد أن لا إله إلا الله ، ختم الرسالات برسالة نبينا الكريم ، ورسولنا العظيم ، وأشهد أن سيدنا محمداً ، رسول الله أفضل خلق الله .

اللهم صل وسلم على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه ، الذين حملوا مشاعل الحق والهدى إلى الناس ، وطهرت بهم الدنيا من الأدناس .

أما بعد : فقد قال الله تعالى : (ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شيء عليما) .

أيها المسلمون :

جاء الإسلام ، وفيه كل ما يحتاج إليه في المعاش والمعاد ، ليطهر الدنيا من الفساد ، ومن الفوضى الفاشية ، ويهدم الرذائل القائمة ، ويقيم الفضائل المتهدمة ، ويظهر العقول المحجوبة ، ويرد الحريات المسلوبة ، فلم يترك أصلا من أصول الفضائل إلا أقامه ، ولا ركنا من أركان الصالحات إلا رفع دعائمه ، ولا قاعدة من قواعد النظام إلا

---

(١) النبي : هو إنسان ذكر حر أوحي إليه بشرع يعمل به سواء أمر بتبليغه أو لم يؤمر ، والرسول هو إنسان ذكر حر بعثه الله سبحانه وتعالى إلى عبيده ليبلغهم عنه شرعه .

(٢) ليعليه على الأديان كلها .

قررها ، ولا ناحية من نواحي الحياة إلا أوضح أمرها ، ولا حالة من الحالات إلا أبان حكم الله فيها ، ولا سبباً من ارقى إلا بينه ، وحث على التعلق به ، ولا وجهاً من وجوه السعادة في الدنيا والآخرة إلا أنار سبيله ، وحض على اتباعه .

ولقد قضى الإســـلام على الحيرة والخلاف بسبب الديانات المتعددة(١) ، التي لا تفي بما يصلح الأنام ، فهو المصباح المنير لبني الإنسان ، يستضيئون به على مدى الأزمان ، به يتبين الرشد من الغي ، ولم يبق إلا اتباع هداه ، من غير احتياج أبداً إلى دين سواه .

فمجيء رسالة أخرى ، بعد رسالة نبينا رسول الإسلام ، أو شرع جديد ، بعد الذي جاء به عليه الصلاة والسلام — عبث وتكرير ، يتنزه عنهما الحكيم الخبير .

لهذا ختمت النبوات بنبوته ﷺ ، وانتهت الرسالات برسالته ، وقال الله تعالى : (وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً) وقال صلوات الله وسلامه عليه : « لي خمسة أسماء : أنا محمد ، وأحمد ، وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر ، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي(٢) ، وأنا العاقب » أي الآخر الذي لا نبي بعده .

---

(١) بعض تلك الديانات كان من الهوى البحت كالمجوسية ، ديانة عبادة النار ، وبعضها كالموسوية والعيسوية — اليهودية والنصرانية — وهما — وإن كانتا إلهيتين قد دخلهما التغيير والتحريف بحسب الأهواء .

(٢) على أثري .

أيها المسلمون :

اتقوا الله واشكروا له تعالى بفعل ما يرضيه ، واستبشروا ، إذ من عليكم بجعلكم من أمة خير الأنام ، الذي به انتهاء النبوة وحسن الختام ، ومن شكر استمسك بالإسلام في جميع نواحيه ، ففي ذلك الفوز والإنعام (وسيجزي الله الشاكرين) .

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما عن أبي هريرة . رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال : « إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتاً فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة(١) من زاوية(٢) ، فجعل الناس يطوفون به ، ويعجبون له ، ويقولون : هلا وضعت هذه اللبنة ، قال : فأنا هذه اللبنة ، وأنا خاتم النبيين » .

وروى الدارمي عن جابر : رضي الله عنه ــ أن رسول الله ﷺ قال : « أنا قائد المرسلين ولا فخر ، وأنا خاتم النبيين ولا فخر ، وأنا أول شافع ومشفع ولا فخر » .

---

(١) واحدة اللبن الذي يعمل من الطين ويبنى به .

(٢) وفي رواية أخرى : من زاوية من زواياه .

٢ – سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم أفضل الخلق أجمعين

الحمد لله : اختار من الناس رسلا ، يدعون إلى جنة عرضها السموات والأرض ، وأشهد أن لا إله إلا الله القائل : (تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض) ، وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله سيد الأولين والآخرين اللهم صل وسلم على سيدنا محمد أفضل المرسلين ، وعلى آله وصحبه ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعـــد : فقد قال الله تعالى : (وإذ أخذ الله ميثاق(١) النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصرى(٢) قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين) .

تنطق(٣) هذه الآية الكريمة بأنه سبحانه وتعالى أخذ على جميع الأنبياء عهداً – إن طالت مدتهم ، وامتدت بهم حياتهم ، حتى جاءهم رسول الإسلام ، سيدنا محمد ﷺ – أن يؤمنوا به وينصروه ، كما تنطق بأنهم أقروا على ذلك وشهدوا وشهد الله معهم ، وذلك دليل

---

(١) عهد (٢) عهدى .

(٣) شرح الإمام تقى الدين السبكى هـذه الآية برسالة مخصوصة سماها (التعظيم والمنة فى تفسير لتؤمنن به ولتنصرنه) وقد نقل الحافظ جلال الدين السيوطى فى الخصائص الكبرى من الرسالة المذكورة جملة وافرة ، فليراجعها من شاء زيادة البيان فى كونه صلى الله عليه وسلم نبى الأنبياء ، وصلاته صلى الله عليه وسلم اماماً بالأنبياء ليلة الإسراء – دليل على أنه أفضلهم .

واضح على أنه ﷺ أفضل الأنبياء، الذين هم أفضل من عداهم، فيكون أفضل الخلق أجمعين.

أيها المسلمون:

جدير بمن جاء بخير الأديان، أن يكون خير إنسان، وأن يؤمن به وينصره جميع الناس

ولاشك أن الإسلام الذى جاء به سيدنا محمد ﷺ — خير الأديان: ختمها الله به، وجعله ديناً سمحاً عاما، ملائماً لكل الأمم فى جميع بقاع الأرض على مدى الزمان، كفيلا بصلاح الفرد والجماعة فى كل أوان: ماترك باباً للفساد إلا أغلقه، ولا وجها للاصلاح إلا حققه، يحترم العقل ويدعو إلى العناية به، ويعظم شأن العلم ويحث عليه، وفيه الحكمة، وحجة الحق، والموعظة الحسنة، وباتباعه نيل الحرية والاستقلال، وكل مافيه سعادة الدنيا والآخرة.

ولا ريب أن خير العظماء، الذين أنقذوا الإنسانية - يكونه خير البرية، والواقع يشهد أن خير أولئك العظماء - سيد الأنبياء، الذى رفع كرامة الإنسان بعبودية الواحد الديان، وحقق الإنسانية بالآداب العظيمة، والأخلاق الكريمة والمبادىء القويمة، التى حققت الأمن والسلام، والمحبة والصفاء، وضمنت الحقوق لأصحابها، وجعلت الناس يعيشون فى هناء.

وقد كان ﷺ أول العاملين بما يقول، فخرج جيلا جليلا، عقائد

أهله أرسخ من الجبال ، وهممهم العلية حققت الآمال ، وبأخلاقهم العظيمة ، وآرائهم الرشيدة ، وعزائمهم الفتية — أعلوا منار الإسلام ، ونشروا نوره بين الأنام ، وطهروا به الدنيا من الظلم والفساد ، والخرافات والأوهام ، وعرفوا الناس قيمة الإنسانية ، التي بها الإنعام والإكرام . ولا عجب أن الصحابة كانوا كذلك ، فقد كان قدوتهم ﷺ خير مثال للحكام ، والولاة ، والقواد والقضاة ، والمرشدين والسياسيين والمحاربين والمسالمين والمواطنين الصالحين : كل أولئك يجدون من صفاته وأقواله وأفعاله المثل الكامل الذي يتبع ، ويستضاء بنوره الساطع .

ولا عجب أن يكون من أرسل إلى الناس أجمعين أفضل الخلق أجمعين .

يا أتباع خير المرسلين :

اشكروا الله الذي جعلكم من أمته ﷺ بطاعته تعالى ، وأطيعوا نبيكم ، أفضل رسول جاء بخير دين (ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً) .

روى الإمام أحمد عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : « أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر ، وبيدي لواء(١) الحمد ولا فخر ، وما من نبي يومئذ ، آدم ، فمن سواه إلا تحت لوائي ، وأنا أول من تنشق عنه الأرض ولا فخر ، وأنا أول شافع وأول مشفع ولا فخر » .

---

(١) علم الحمد .

٣ — العناية بالعلم الدينى

الحمد لله : أنار بعلم الدين القلوب ، وأجزل به المنة ، وأشهد أن لا إله إلا الله : من سلك طريقاً يطلب فيه علماً سهل له به طريقاً إلى الجنة ، وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله خير من دعا إلى الله ، وبلغ دينه ، اللهم صل وسلم على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه ، مصابيح الظلام ، وهداة الأنام .

أما بعد : فقد قال الله تعالى: (وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون).

تنطق الآية الكريمة بأنه لا يحسن بالمؤمنين أن يخرجوا جميعاً لنحو طلب علم أو غزو عدو ، ولا أن يكسلوا جميعاً فإن ذلك يخل بأمر معاشهم وطيب حياتهم ، كما تنطق بالحث على خروج جماعة قليلة ، من كل جماعة كثيرة ، كأهل بلدة أو قبيلة ، ليتفقهوا فى الدين ، ويرشدوا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون مما ينذرون منه ، ويجب اجتنابه ، ولابد لتحقيق ذلك الحذر من عناية الذين تفقهوا فى الدين بإرشاد قومهم بالإقبال إليهم ، فالآية — إذاً — تدعو الجميع إلى العناية بعلم الدين .

أيها المسلمون :

طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة ، ليكونوا على بصيرة فى طاعة الله واتباع رسول الله ، فيفوزوا بخير الدنيا والآخرة ، وقال صلوات الله وسلامه عليه : تعلموا العلم فإن تعلمه لله خشية ، وطلبه عبادة ، ومذاكرته تسبيح ، والبحث عنه جهاد ، وتعليمه لمن لا يعلمه

صدقة ، وبذله لأهله قربة ، لأنه معالم الحلال والحرام ، ومنار سبل أهل الجنة . وهو الأنيس فى الوحشة ، والصاحب فى الغربة ، والمحدث فى الخلوة ، والدليل على السراء والضراء ، والسلاح على الأعداء ، والزين عند الأخلاء : يرفع الله به أقواماً ، فيجعلهم فى الخير قادة ، أئمة تقتص آثارهم ، ويقتدى بفعالهم ، وينتهى إلى رأيهم ، ترغب الملائكة فى خلتهم(١) ، وبأجنحتها تمسحهم ، ويستغفر لهم كل رطب ويابس ، وحيتان البحر وهوامه ، وسباع البر وأنعامه ، لأن العلم حياة القلوب من الجهل ، ومصابيح الأبصار من الظلم ، يبلغ العبد بالعلم منازل الأخيار والدرجات العلى فى الدنيا والآخرة ، التفكر فيه يعدل الصيام ، ومدارسته تعدل القيام ، به توصل الأرحام ، وبه يعرف الحلال والحرام وهو إمام العمل والعمل تابعه ، يلهمه السعداء ، ويحرمه الأشقياء (٢) .

عباد الله :

هذا هو قدر العلم ، الذى بينه رسول الله ﷺ بقوله (٣) « العلم ثلاثة ، وماسوى ذلك فهو فضل : آية محكمة ، أو سنة قائمة ، أو فريضة (٤) عادلة » .

---

(١) صداقتهم ومصاحبتهم .

(٢) رواه ابن عبد البر النمرى فى كتاب العلم .

(٣) رواه الحاكم وأبو داود وابن ماجه .

(٤) هى القياس ، وهو فريضة على علماء المسلمين بلحقون به مايحدث من الحوادث التى لم يرد فيها نص خاص بأشباهها مما نص عليه ، ووصف القياس بالعدل ليخرج القياس الجائر ، الذى لايلاحظ ، جامعاً بين الفرع وأصله ، أو يلاحظ جامعاً ليس بمعتبر

العلم الدينى ، الذى فيه سعادة الدارين ، وفلاح الحياتين ، فضله عظيم ، ومقام حائزه كريم ، ومع ذلك هجره كثير من الناس ، وفروا من مجالسه كأنها حفر نار ، وسعوا إلى مجالس اللعب واللهو فى بهجة واستبشار ، ليروا ويسمعوا مايغضب العزيز القهار ، ولذلك امتلأت الصدور — بالطقاطيق والروايات ، وحشيت الأدمغة بالغناء الساقط وقبيح العبارات ، وأظلمت القلوب ، إذ خلت من علوم الدين وآيات الله البينات ، وساءت الأعمال والأخلاق ، وفسدت المعاملات ، وضعفت الصلة بقيوم الأرض والسموات ، وأصبح كثير من الناس يقول مايشاء ، ويفعل مايشاء ، بلا خوف وبغير حياء .

أيها المسلمون :

اتقوا الله ، واسعوا إلى رحمة الله وغفرانه ، بتعلم الدين وتعليمه ، والعمل به ، وأقبلوا إلى مجالسه ، واحرصوا على نوره ، واحذروا أن تشغلكم عنه دور الخلاعة ومجالس الشيطان ، الذى لا ينام عن نشر شره ـ تحيوا فى عزة وسيادة ، وتفوزوا بالنعيم المقيم فى دار السعادة .

روى الترمذى وابن ماجه والبيهقى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « الدنيا (١) ملعونة ملعون مافيها

(١) المراد بالدنيا كل مايشغل عن الله تعالى ويبعد عنه ، ومعنى لعنة : بعده عن منظره تعالى .

إلا ذكر الله وما والاه (١) وعالماً ومتعلماً ».

وروى ابن ماجه ، عن أبي أمامة : رضي الله عنه أنه ﷺ قال : « العالم والمتعلم شريكان في الخير ، ولاخير في سائر الناس » .

وروى الطبراني في معجمه الأوسط ، والبزار عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « فضل العلم خير من فضل العبادة ، وخير دينكم الورع » .

وروى الترمذي عن أنس رضي الله عنه — أن رسول الله ﷺ قال : « من خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع » .

(١) أي ما أحبه الله تعالى مما يجري في الدنيا ، أو ما تابعه وجرى على موافقة أمره تعالى أو نهيه ، أو ما وافق ذكر الله من سائر الطاعات .

٤ – العناية بتعلم اللغة العربية

الحمد لله : (خلق الإنسان . علمه البيان (١)) ، وأشهد أن لا إله إلا الله (٢) : دل على قدرته وحكمته ، باختلاف الألسنة والألوان ؛ وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله ، أفصح العرب وأبلغهم ، اللهم صل وسلم على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه ، الذين انتشر بهم الإسلام ولغته العربية : (أولئك هم خير البرية) .

أما بعد فقد قال الله تعالى : (إنا أنزلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون) (٣)

بذلك القول الكريم ، تبين أن اللغة العربية ، كما أنها لسان سيد المرسلين — هي لغة القرآن المبين ، الذى به اتضح للناس سلوك الصراط المستقيم ، والطريق القويم ، بما أرشد إليه من صحيح العقائد ؛ وما بين من أحكام ، وأخلاق وآداب ، وتعاليم سليمة ، ومبادىء قويمة ؛ والذى به انكشف للعقول طريق الاعتبار ، بما فيه من القصص والأخبار : (إن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً كبيراً . وأن الذين لا يؤمنون بالآخرة أعتدنا لهم عذاباً أليما) .

---

(١) هو التعبير عما فى الضمير ، وإفهام الإنسان غيره لما فهمه .

(٢) قال تعالى « ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن فى ذلك لآيات للعالمين » .

(٣) لتفهموه وتحيطوا بمعانيه .

وإذا كانت اللغة العربية لغة القرآن ، أساس الإسلام ، ولغة رسول الإسلام ، عليه الصلاة والسلام - كانت لغة الإسلام ذلك الدين المتين ، الذى اختاره الله لإسعاد العالمين : قال تبارك وتعالى : (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام ديناً) .

أيها المسلم :

بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن الكريم ، فبلغ من سلطانه على نفوس الذين فهموه ، وتأثيره فى قلوب الذين تدبروا آياته أن — البدوى راعى الغنم - كان إذا سمع القرآن خر له ساجداً لما له من حلاوة ، ولما عليه من طلاوة(١) ، وهل خضعت العرب للحق إلا بجاذبية القرآن .

وفى تأثير القرآن فى نفوس العلماء الذين قرءوا الكتب السابقة ، واستيلائه عليهم بجاذبيته الفائقة — يقول الله تعالى : (إن الذين أوتوا العلم من قبله إذا يتلى عليهم يخرون (٢) للأذقان سجداً ويقولون سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولا ، ويخرون(٣) للأذقان يبكون ويزيدهم خشوعاً) .

ولاريب أن تأثير القرآن بأسلوبه العربى ، وتلاوته العربية .

---

(١) بالضم والفتح لغة : أى بهجة .

(٢) شكراً لله تعالى لإنجاز وعده فى تلك الكتب السابقة ، ببعثة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، على فترة من الرسل وانقطاع الوحى ، وإنزال القرآن عليه .

(٣) لما أثر فيهم من مواعظ القرآن ، حال كونهم باكين من خشية الله تعالى .

فمن لم يعرف اللغة العربية ـ حرم ذلك التأثير ، وفاته الخير الكثير ، وليس له نصيب فى الأجر العظيم الذى أعده الله تعالى لمن يقرأ القرآن الكريم . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم(١) : « من قرأ حرفاً من كتاب الله فله حسنة ، والحسنة بعشر أمثالها ، لا أقول(٢) الم حرف ولكن ألف حرف ، ولام حرف ، وميم حرف » .

ومن عرف اللغة العربية ـ تيسر له أن يقرأ القرآن ويفهمه ، فيفوز بتأثيره الروحى ، وهدايته وعظم أجر تلاوته ، وتيسر له أن يفهم سنة رسول الله ، صلوات الله وسلامه عليه ، وقد قال عمر رضى الله عنه : « أما بعد : فتفقهوا فى السنة ، وتفقهوا فى العربية وأعربوا القرآن فإنه عربى » (٣) .

ومن فهم القرآن وسنة رسول الله ، وتمسك بهما ـ كان متفقهاً فى الدين وذا دين متين ، وقد قال الرسول الصادق الأمين (٤) « من يرد الله به خيراً يفقهه فى الدين » وقال صلى الله عليه وسلم (٥) : « لقد تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا من بعدى : كتاب الله وسنة رسوله » .

واللغات من أعظم شعائر الأمم التى بها يتميزون ، واللغة العربية

(١) رواه الترمذى .

(٢) تقرأ هذه الكلمة . هكذا : ألف لام ميم بتسكين الحروف ، كما تقرأ من القرآن .

(٣) التفقه : التعلم ، والإعراب : التبيين والايضاح .

(٤) رواه البخارى .

(٥) رواه البخارى ومسلم .

شعار الإسلام والمسلمين ، فلنحرص عليها لعزنا ، ولنحفظها لنحفظ دينا ، ولننتفع بنصح أمير المؤمنين عمر رضى الله عنه قال : « تعلموا العربية فإنها من دينكم » .

أيها المسلم :

اتق الله ، واحرص على تعلم اللغة العربية لغة نبيك ولغة كتاب الله ، ولغة دينك — تعز وتسعد ، وعلمها أولادك تسد إليهم وإلى نفسك خيراً كثيراً .

روى الطبرانى عن أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «أنا عربى، والقرآن عربى ، وكلام أهل الجنة عربى » .

وروى القضاعى عن جابر - رضى الله عنه - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم - قال : (جمال الرجل فصاحة لسانه) .

٥ - الحث على الخشوع فى الصلاه

الحمد لله : يحب من خشع قلبه لذكره ، ويتفضل عليه بنعمه ورفع قدره ، وأشهد أن لا إله إلا الله : يمنح الخاشعين فى الصلاة رضاه ، فيفوزون بخير الحياة ، ويسعدون فى أخراه جل علاه ، وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله ، أفضل من صلى وخشع ، وسجد لله وركع ، اللهم صل وسلم على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه ، الذين امتلأت قلوبهم بتعظيم الله ، والخوف منه تعالى ، فخشعوا فى الصلاة (أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون) .

أما بعد فقد قال الله تعالى : (قد أفلح المؤمنون ٭ الذين هم فى صلاتهم خاشعون) .

عباد الله :

فى ذلك القول الكريم - حكم ربنا ، حكماً محققاً ، لا ريب فيه ، لا يقبل استئنافاً ولا نقضاً ، ولا معارضة ولا دفعاً ، بالفلاح والفوز والنجاح ، للمؤمنين الخاشعين فى الصـــلاة : علم بذلك الحكم المؤمنون السابقون ، فحرصوا على الانتفاع به ، فلم تلهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة ، ولم يحن وقت الصلاة إلا وهم لها منتظرون ولأدائها فى خشوع مستعدون ، وقد قال سيد الأولين والآخرين (١):

(١) رواه البخارى ومسلم عن عثمان رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

« لا يتوضأ رجل فيحسن وضوءه . ثم يصلي الصلاة إلا غفر له ما بينها وبين الصلاة التي تليها » .

أيها المسلمون :

إذا دعي أحدكم لمقابلة عظيم ، في وقت من الأوقات ، فماذا يكون منه ؟ لا شك أنه يهتم بالدعوة ، ولا يأتي الوقت المحدود إلا وهو منتظر له ، ومستعد للمقابلة . قد أخذ زينته طاهراً نظيفاً ، وصدره في انشراح ، للقاء ذلك العظيم الذي يرجو عنده الأرباح ، فإذا جاء الوقت وقام بين يديه — كان متجهاً بالكلية إليه ، حاضر الذهن ، قوي الانتباه ، ولا يفكر في شيء سواه ، اهتماماً بشأنه ، وحرصاً على غاية رضاه ، مع أن ذلك العظيم بشر ، لا يملك لنفسه جلب نفع ولا دفع ضرر ، قلبه بيد الله : يحركه كيف يشاء .

وها أنتم هؤلاء — يؤذن لكم المؤذن في أوقات الصلوات الخمس ، فيقول : « حي على الصلاة ، حي على الصلاة ، حي على الفلاح ، حي على الفلاح » ، أي أقبلوا على الصلاة ، وعلى الفلاح ، فأجيبوا داعي الله ، واهتموا بالصلاة ، وحسن القيام فيها بين يدي الله ، أكثر من اهتمامكم بحسن القيام بين يدي العظيم من عباد الله ، فالله أكبر من أن يقاس به في عظمته سواه ، وهو الذي له الأمر كله ، ولا مانع لما أعطى ، ولا معطي لما منع ، وهو الغني الحميد ، القوي العزيز .

انتظروا وقت الصلاة انتظار المكاسب والمغانم ، وأحسنوا الاستعداد لأداء الصلاة بطهارة الظاهر والباطن ، وعظموا ربكم وأنتم تصلون ، فاستحضروا هيبته جل شأنه ، وأفرغوا قلوبكم من الشواغل

الدنيوية ، وصلوا بقلوب خاضعة ، ولتسكن أعضاؤكم ساكنة خاشعة ، وتأملوا فيما تقرءونه ، وما تذكرون الله به وما تدعونه ، ولاحظوا أن الركوع تواضع لعظمة الله ، وأن السجود زيادة تذلل وخضوع له جل علاه ، لتسلموا من الصلاة ، وأنتم فائزون بالقبول والغفران والنعيم والرضوان ، إن المؤمنين المفلحين — فى صلاتهم يخشعون وإلى مواضع سجودهم ينظرون ، ولغير تعظيم ربهم لا يلتفتون ، وقد قال رسول الله ﷺ (١) : « لا يزال الله مقبلا على العبد وهو فى صلاته مالم يلتفت فإن التفت أعرض عنه » وقال معاذ بن جبل رضى الله عنه : « من عرف من على يمينه وشماله متعمداً وهو فى الصلاة فلا صلاة له » .

ورأى رسول الله ﷺ : رجلا يعبث بلحيته فى صلاته فقال (٢): « لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه » ، وكان زين العابدين ابن الحسين رضى الله عنهما إذا توضأ اصفر لونه ، وإذا قام إلى الصلاة أخذته رعدة - اضطراب وارتعاش - فقيل له مالك ؟ فقال : « أتدرون بين يدى من أقوم ولمن أريد أن أناجى » (٣) ، ووقع حريق فى بيته وهو ساجد ، فجعل الناس يقولون له : يابن رسول الله النار النار ، فما رفع رأسه ، فقيل له فى ذلك بعد تمام الصلاة ، وقد انطفأت النار ، فقال : ألهتنى عنها النار الكبرى .

وهكذا كان سلفنا الصالح : نسوا كل شىء فى صلاتهم . إلا ربهم

(١) رواه أبو داود والترمذى عن أبى ذر رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ .
(٢) أخرجه الحكيم الترمذى .
(٣) أسار : من المناجاة وهى المحادثة سراً .

الذى يرعاهم ويراقبهم ، وبذلك امتلأت قلوبهم بمراقبتـه تعالى فى جميع الأعمال ، وحضرتهم خشيته سبحانه فى عموم الأحوال ، فأحسنوا وعملوا الصالحات ، واجتنبوا الفواحش والمنكرات ، وصدق الله العظيم إذ قال : (إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر) ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قال الله عز وجل(١) : « إنما أتقبل الصلاة ممن تواضع بها لعظمتى ولم يستطل على خلقى ، ولم يبت مصراً على معصيتى ، وقطع النهار فى ذكرى ، ورحم المسكين وابن السبيل والأرملة ، ورحم المصاب : ذلك نوره كنور الشمس ، أكلؤه(٢) بعزتى ، وأستحفظه ملائكتى ، أجعل له فى الظلمة نوراً ، وفى الجهالة حلماً ، ومثله فى خلقى كمثل الفردوس فى الجنة » .

فالذين يصلون ، وعن الفحشاء والمنكر لا يقلعون ، هم الذين هم فى صلاتهم كاذبون : خلت صلاتهم من الخشوع والخضوع ، وأسرعوا فى أدائها ، وهم عنها غافلون : لا يفكرون فى الكلام الذى ينطقون ، ولا فيما يعملون ، ولا فى قوة الله وسلطانه ، ورحمته وعذابه فامتلأت قلوبهم بشواغل الدنيا ، واستحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله فاستحقوا العقاب وحرموا الثواب .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم(٣) : « من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزده من الله إلا بعداً » .

---

(١) رواه البزار عن ابن عباس رضى الله عنهما .
(٢) أحفظه .
(٣) رواه ابن جرير عن ابن مسعود رضى الله عنه .

أيها المسلم :

تصلي بلا قلب صـــلاة بمثلها يكون الفتى مستوجباً للعقوبة
فويلك تدري من تناجيه معرضـــاً
وبين يدي مـــن تنحني غـير مخبت(١)
تخاطبـــه إياك نعبد مقبلا على غيره فيها لغير ضرورة
ولو رد من ناجاك للغير طرفه تمـــيزت من غيظ عليه وغيرة
أما تستحي من مالك الملك أن يرى
صـــدودك عنـــه ياقليـل المروة

اتق الله ، واخشع في صلاتك وصل بقلب حاضر ، مستيقن أن ربه إليه ناظر ، وتدبر أقوال الصلاة وأفعالها ، لتملىء نفسك بتعظيم الله ، وتراقبه في كل حال وتخشاه ، فتجتنب ما يغضبه ، وتفعل ما فيه رضاه ، فتكون من المفلحين .

روى أبو داود والنسائي والبيهقي عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال : أشهد أني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « خمس صلوات افترضهن الله عز وجل من أحسن وضوءهن ، وصلاهن لوقتهن وأتم ركوعهن وسجودهن وخشوعهن . كان له على الله عهد أن يغفر له ، ومن لم يفعل فليس له على الله عهد ، إن شاء غفر له ، وإن شاء عذبه » .

---

(١) غير خاضع .

٦ – مراقبة الله عز وجل سبيل السعادة

الحمد لله الذى يعلم السر وأخفى ، وأشهد أن لا إله إلا الله : الذى أحاط بكل شىء علماً ، وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله خير من راقب مولاه ، اللهم صلى وسلم على سيدنا محمد ، وعلى آله وأصحابه الذين راقبوا فى السر والعلانية ربهم ، فأسعدهم فى دنياهم وآخرتهم .

أما بعد فقد قال الله تعالى : (إن الله كان عليكم رقيباً) .

عباد الله :

من راقب ربه فى السر والإعلان ، مؤمناً بأنه تعالى يراه حيثما كان ، أورثه ذلك خشيته سبحانه فاتقاه ، فلم يفقده جل شأنه حيث أمره ، ولم يره حيث نهاه .

وكيف يجرؤ العبد على المعصية ، أو يقصر فى الطاعة ، وهو يعلم أن الله القوى الرقيب عليه يجازيه على ما قدمت يداه ؟ .

ومن راقب ربه فكان من الذنوب نقياً ، وبالصالحات محسناً تقياً كان الله معه : (إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون) .

ومن كان معه الله — كان معه القوة القاهرة ، والقدرة الباهرة والجيش الذى لا يكسر ، والأسطول الذى لا يقهر ، (ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز) .

فاستبشر — أيها المراقب لله — بالنصر على من عاداك ، وبالعزة التى لا ذل معها ، فمن يغلبك ومعك الغالب القاهر ومن يذلك ومعك المتين

القادر ، واطمئن على قضاء حوائجك لملك الغنى ذو الجود الباهر ، ومن يشقيك ومعك من لاسعادة إلا من كرمه العظيم . ولا عجب أن يكون مراقب ربه شجاعاً فى الحق ينصره ويدعو إليه وينطق بكلمته فمعه ناصر الحق العزيز العليم ؛ العلى الذى خلق الموت والحياة ، الذى يغلب ولا يغلب : (والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون) .

أيها المنتبه لقول ربه : (ألم تر أن الله يعلم مافى السموات وما فى الأرض ما يكون من نجوى (١) ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة إن الله بكل شىء عليم) .

كن كالسلف الصالح ، آمن به تعالى واعمل الصالحات ، وراقبه فى جميع الحالات ، لتسلم من غضبه ، وتفوز بإحسانه وحبه ، وعونه وعزه ونصره ، وإسعاده وخيره ، فقد راقبه يوسف عليه السلام فسلم من فتنة امرأة العزيز ، وأوتى من الملك وأعزه الله ، وراقبته مريم ، فكانت عفيفة شريفة ، فلما تمثل لها جبريل بشراً سويا - قالت إنى أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيا ، وقد وصفها الله فى القرآن بما يدل على حسن جزائها ، فقال : (ومريم ابنة عمران التى أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين)(٢) ، وراقبه سيد الخلق رسولنا الكريم ، فقام من الليل يصلى حتى تورمت قدماه ، وشكر الله على ما تفضل به عليه وأعطاه ، ولقد

---

(١) حديثهم سراً .
(٢) المواظبين على الطاعة .

قال له الله (ولسوف يعطيك ربك فترضى) ، وراقبه ـ جل شأنه ـ أصحاب رسول الله ، فكانوا صادقين أمناء، مخلصين أتقياء ، شجعاناً أوفياء ، مؤمنين صالحين رحماء ، والله تعالى يقول : (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية. جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً رضى الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشى ربه) .

وروى الطبرانى وأبو نعيم فى الحلية ، عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « إن أفضل الإيمان أن تعلم أن الله معك حيثما كنت » .

وروى الإمام أحمد والترمذى ، وغيرهما ، عن أبى ذر ، ومعاذ : رضى الله عنهما ـ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ قال : (اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن) .

٧ – الاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم في هديه (١) وخلقه

الحمد لله الذى أرسل رسوله بالهدى، وأشهد أن لا إله إلا الله ؛ أثنى على رسولنا الكريم، فقال : (بالمؤمنين رءوف رحيم)، وأشهد أن سيدنا محمداً، رسول الله، خير قدوة لمن أراد السعادة والعزة فى الحياة وحسن العاقبة يوم لقاء الله، اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه، الذين تأدبوا بآدابه فأسعدهم الله وأعزهم (ويدخلهم الجنة عرفها لهم) .

أما بعد فقد قال الله تعالى : (لقد كان لكم فى رسول الله أسوة (٢) حسنة لمن كان يرجو (٢) الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً) .

أيها المسلمون :

كان رسولنا صلى الله عليه وسلم خير الناس هدياً وأعظمهم خلقاً، وجدير بمن بعث ليتمم مكارم الأخلاق أن يكون فى جميعها مثلا كاملا، وقد وصفه الله بقوله فى القرآن الكريم : (وإنك لعلى خلق عظيم) .

---

(١) فى سيرته وطريقته .
(٢) قدوة
يرجو ثواب الله .

وسئلت السيدة عائشة رضى الله عنها عن خلقه صلى الله عليه وسلم فقالت : « كان خلقه القرآن » .

كان صلى الله عليه وسلم عظيم الرأفة والرحمة بأمته ، كامل الشفقة عليها لذلك ادخر دعوته المستجابة لها إلى يوم القيامة ، يوم الهول العظيم ، والحاجة الشديدة إليها .

قال صلوات الله وسلامه عليه (١) : « لكل نبي دعوة مستجابة (٢) ، فتعجل كل نبي دعوته ، وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة ، فهي نائلة إن شاء الله من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئاً » .

وكان صلى الله عليه وسلم (٣) أخف الناس صلاة في تمام وكان (٤) لا يحدث حديثاً إلا تبسم ، وكان (٥) يعمل عمل البيت وأكثر ما يعمل الخياطة وكان (٦) ينام أول الليل ويحيى آخره ، وكان (٧) إذا عطس حمد الله ، فيقال له : يرحمك الله ، فيقول يهديكم الله ويصلح

---

(١) رواه البخارى ومسلم عن أبي هريرة (ض) .
(٢) أى لابد من إجابتها وغيرها على رجاء الإجابة .
(٣) روى مسلم هذا الحديث فى صحيحه عن أنس (ض)
(٤) روى ذلك أحمد عن أبي الدرداء (ض)
(٥) رواه ابن سعد عن عائشة (ض)
(٦) رواه ابن ماجه عن عائشة (ض)
(٧) رواه الطبرانى عن عبدالله بن جعفر .

بالكم (١) وكان (٢) لايقوم من مجلس إلا قال : سبحانك اللهم ربى وبحمدك ، لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك وقال : لايقولهن أحد حيث يقوم من مجلسه إلا غفر له ما كان منه فى ذلك المجلس ، وكان (٣) إذا ودع رجلا أخذ بيده فلا يدعها حتى يكون الرجل هو الذى يدع يده ، ويقول : أستودع الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك . وكان (٤) إذا رأى ما يحب قال : الحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات ، وإذا رأى ما يكره قال : الحمد لله على كل حال ، رب أعوذ بك من حال أهل النار ، وكان (٥) إذا رأى الهلال قال : اللهم أدخله علينا بالأمن والإيمان ، والسلامة والإسلام ، والسكينة والعافية والرزق الحسن ، وقال (٦) اللهم أهله علينا بالأمن والإيمان ، والسلامة والإسلام والتوفيق لما تحب وترضى ، ربنا وربك الله ، وقال (٧) : اللهم اجعله هلال يمن ورشد ، آمنت بالذى خلقك فعدلك ،

---

(١) أى حالكم ، وروى ابن السنى عن ابن مسعود رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (إذا عطس أحدكم فليقل الحمد لله رب العالمين ويقال له يرحمك الله ، وليقل : يغفر الله لكم) وروى ابن السنى أيضا أنه صلى الله عليه وسلم كان يقول لليهود إذا عطسوا : (يهديكم الله ويصلح بالكم) .

(٢) رواه الحاكم عن عائشة (ض)

(٣) رواه النسائى عن ابن عمر (ض) .

(٤) رواه ابن ماجه عن عائشة (ض) .

(٥) رواه ابن السنى .

(٦) رواه الطبرانى عن ابن عمرو (ض) .

(٧) روى ابن السنى عن أنس رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم كان إذا نظر الهلال قال ذلك .

تبارك الله أحسن الخالقين ، وكان(١) إذا جاءه أمر يسر به خر ساجداً شاكراً لله . وكان (٢) إذا جرى به الضحك وضع يده على فيه ، وكان(٣) إذا خلا بنسائه ألين الناس وأكرم الناس ، ضحاكاً بساماً ، وكان (٤) إذا أتى بطعام أكل مما يليه ، وإذا أتى بالتمر جالت(٥) يده ، وطافت فى جانب الوعاء وكان(٦) إذا أتى بباكورة الثمرة وضعها على عينيه ثم على شفتيه ؛ قال : اللهم كما أريتنا أوله فأرنا آخره ، ثم يعطيه من يكون عنده من الصبيان ، وكان(٧) إذا أراد أن ينام وهو جنب توضأ وضوءه للصلاة ، وإذا أراد أن يأكل أو يشرب وهو جنب غسل يده ، ثم يأكل ويشرب ، وكان(٨) إذا أكل أو شرب قال (٩) : الحمد لله الذى أطعم وسقى (١٠) وسوغه وجعل له مخرجاً ؛ وكان(١١) إذا أخذ مضجعه من الليل وضع يده تحت خده ، ثم يقول : باسمك اللهم أحياء وباسمك

---

(١) رواه ابن ماجه عن أبى بكرة (ض)

(٢) رواه البغوى

(٣) رواه ابن عساكر عن عائشة رضى الله عنها

(٤) رواه الخطيب عن عائشة رضى الله عنها

(٥) طافت

(٦) رواه الطبرانى عن ابن عباس رضى الله عنه

(٧) رواه النسائى عن عائشة رضى الله عنها

(٨) رواه ابن حبان عن أبى أيوب رضى الله عنه .

(٩) وروى الإمام أحمد عن أبى سعيد أنه صلى الله عليه وسلم كان إذا فرغ من طعامه قال : (الحمد لله الذى أطعمنا وسقانا وجعلنا مسلمين) .

(١٠) جعله سائغاً سهل المدخل فى الحلق

(١١) رواه البخارى عن أبى ذر رضى الله عنه

أموت ، وإذا استيقظ قال : الحمد لله الذى أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور ، وكان (١) إذا استيقظ من الليل قال: لا إله إلا الله الواحد القهار رب السموات والأرض وما بينهما العزيز الغفار ، كان (٢) إذا أراد أن يرقد (٣) وضع يده اليمنى تحت خده ثم يقول ثلاث مرات : اللهم قنى عذابك يوم تبعث عبادك وكان (٤) إذا دخل السوق قال : بسم الله ، اللهم إنى أسألك من خير هذه السوق وخير ما فيها ، وأعوذ بك من شرها وشر ما فيها ، اللهم إنى أعوذ بك أن أصيب فيها يميناً فاجرة ، أو صفقة خاسرة ، وكان (٥) إذا مر بالمقابر قال : السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمؤمنات ، والمسلمين والمسلمات ، والصالحين والصالحات ، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون ؛ وكان (٦) صلى الله عليه وسلم أجود الناس وأحلمهم وأصدقهم وأوفاهم ذمة ، وأشجعهم وأصبرهم وألينهم ، وأكرمهم عشرة .

أيها المسلم :

هكذا كان نبيك ، فاتبع هديه وسنته ، وتخلق بأخلاقه ، لعزك وإسعادك فى الدنيا والآخرة .

---

(١) رواه الحاكم عن عائشة رضى الله عنها .
(٢) رواه أبو داود عن حفصة رضى الله عنها .
(٣) ينام ليلا أو نهاراً
(٤) رواه الطبرانى عن بريدة رضى الله عنه .
(٥) رواه ابن السنى عن أبى هريرة رضى الله عنه .
(٦) وردت هذه الصفات العظيمة وتلك الأخلاق النبوية الكريمة لسيدنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم فى أحاديث صحيحة كثيرة .

روى الإمام مالك فى الموطأ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال(١) : « بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » .

وروى مسلم فى صحيحه ، عن أنس رضى الله عنه — أن رسول الله صلى الله عليه وسلم — قال (أنا أكثر الأنبياء تبعاً يوم القيامة وأنا أول من يقرع باب الجنة) ، فليشرف المسلم نفسه بأن يكون من أتباعه صلى الله عليه وسلم ، الذين دون كثرتهم أتباع كل نبى ورسول قبله ، وذلك بالاقتداء به صلى الله عليه وسلم فى هديه ، وخلقه .

وروى الإمام أحمد ومسلم ، والنسائى ، وابن ماجه ، عن جابر رضى الله عنه — أن رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : (أما بعد فإن أصدق الحديث كتاب الله ، وإن أفضل الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم ، وشر الأمور محدثاتها ؛ وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة فى النار) .

---

(١) قال ابن عبد البر : وهو حديث مدنى صحيح يدخل فيه الصلاح والخير كله ، والدين والفضل والمروءة والإحسان والعدل ، ولذا بعث صلى الله عليه وسلم ليتم ذلك كله .

٨ — الشورى فى الإسلام

الحمد لله : شرع نظام الشورى ، تكريماً للعقول ، وتأليفاً للقلوب ، وتقديراً لحرية الرأى ، وإيضاحاً للأمر ، وحفظاً من الخطأ والزلل ، وأشهد أن لا إله إلا الله : هدى بالإسلام إلى مافيه الخير والفلاح ، وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله ، حث على المشورة للرشاد والنجاح ، اللهم صل وسلم على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه ، الذين حرصوا على المشاورة فى أمورهم ، فكان الصواب حليفهم .

أما بعد فقد قال الله تعالى مادحاً جماعة المؤمنين: (والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون) .

قرن الحكيم العليم ، فى الآية الكريمة ، العمل بالشورى بركن عظيم من أركان الإسلام ، إقام الصلاة : لآثار الشورى الحميدة ، وفوائدها المجيدة .

أيها المسلمون :

لا ريب أن رأى الجماعة — يكون مختاراً مصفى : به يسيرون على هدى من أمرهم ، فإن العقول كالمصابيح ، كلما اجتمعت زاد النور ووضح السبيل ، فسار الناس فيه على صواب وسداد من رأيهم ، إلى غايتهم ، ولذلك جاء الإسلام بالشورى مبدأ سليماً ، وطريقاً قويماً ، وأمر الله عز وجل نبيه الكريم باستشارة أصحابه ، فقال : (وشاورهم فى الأمر) ، فامتثل صلوات الله وسلامه عليه أمر ربه ، واستشار

أصحابه يوم الخروج لغزوة بدر ، وسار بالجيش ، إذ استقر الرأى على الخروج لذلك ، حتى نزل أدنى ماء من بدر ، فقال الحباب بن المنذر : يارسول الله ، أهو منزل أنزلكه الله ، فليس لنا أن نتقدمه ، ولا نتأخر عنه ، أم هو الرأى والحرب والمكيدة ؟ فقال رسول الله ﷺ : هو الرأى والحرب والمكيدة ، فأشار الحباب بمنزل آخر ، فوافقه ﷺ ، فكان الخير فى ذلك المنزل الآخر ، وكان النجاح حليف المسلمين والنصر نصيبهم ، واستشار رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه فى غزوة الأحزاب ، فأشار عليه سلمان الفارسى بحفر خندق حول الجهات المكشوفة من المدينة ، للتحصن به قائلا : يارسول الله ، إنا كنا بفارس إذا حوصرنا خندقنا علينا ، فنزل النبى صلى الله عليه وسلم على رأيه ، وكانت النتيجة سارة ، فنصر الله عبده ، وأعز جنده ، وهزم الأحزاب وحده .

وعلى نهج النبى السوى وتوجيهه السنى ــ سار الخلفاء الراشدون ، وتبعهم أسلافنا الصالحون فكانت حياتهم بالشورى عزيزة كريمة .

فما أسعد الأمة يشاور ولاتها فى حكمهم العلماء فيما أشكل عليهم من أمور الدين ويشاورون وجوه الجيش فيما يتعلق بالحرب ، ويشاورون أهل الرأى فى البلاد فيما يتعلق بالعمران والصالح العام ، وإن الأمة الراقية ــ تحرص كل الحرص على تشاور حكامها وممثليها فيما يعود على البلاد بالخير والإسعاد وبقيها شر التأخر والشقاء والفساد .

ومن استشار فيما أهمه الناصح الأمين ــ أدرك النجاح من أقرب

طريق ، وسلم من الندامة ، وأمن الملامة ولذلك قال لقمان لابنه ، وهو يعظه يابنى شاور من جرب الامور ، فإنه يعطيـــك من رأيه ماحصله بالجهد (١) والمال وأنت تأخذه بالمجان(٢) ، وقال حكيم :

شاور أخاك إذا نابتك نائبـــة
يوماً وإن كنت من أهل المشورات

فالعـــين تنظر منها مادنا ونأى
ولا ترى نفسها إلا بمـــرآة

أيها المسلمون :

اشكروا لله الذى هداكم لنظام الشورى ، لنعمكم ، واستشيروا أهل العقل والدين فى أموركم - تعيشوا سعداء ، موفقين للخيرات ، فأهل العقل والدين لا يشيرون إلا بخير ، وانصب أعينهم قول الرسول صلى الله عليه وسلم(٣) : (المستشار مؤتمن ، فإذا استشير فليشر بما هو صانع لنفسه) .

روى الطبرانى عن أنس رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (ماخاب من استخار(٤) ، ولا ندم من استشار ،

---

(١) أى بالمشقة (٢) أى بغير عوض .

(٣) رواه الطبرانى فى معجمه الأوسط عن على رضى الله عنه ، وكرم الله وجهه .

(٤) روى أصحاب السنن إلا مسلما عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا الاستخارة فى الأمور كلها كما يعلمنا السورة من القرآن يقول : (إذا هم أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة ثم ليقل : اللهم إنى أستخيرك بعلمك ، وأستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم ، فإنك تقدر ولا أقدر ، وتعلم ولا أعلم وانت علام الغيوب ، اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خير لى فى دينى ومعاشى وعاقبة أمرى ، أو قال عاجل أمرى =

ولا عال(١) من اقتصد(٢) »

وروى ابن لال ، عن أنس رضى الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال : (لا يفعلن أحدكم أمراً حتى يستشير ، فإن لم يجد من يشيره فليستشر امرأة ، ثم ليخالفها ، فإن فى خلافها البركة)(٣)

وهذا القول الشريف بالنظر لغالب النساء ، وإلا فنهن فاضلات لوفور عقولهن(٤) كأم المؤمنين السيدة خديجة زوج النبى ﷺ التى كانت له نعم المعين

= وآجله ، فاقدره لى ويسره لى ثم بارك لى فيه ، وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شر لى فى دينى ومعاشى وعاقبة أمرى ، أو قال عاجل أمرى وآجله ، فاصرفه عنى واصرفنى عنه ، واقدر لى الخير حيث كان ثم رضنى به ، قال : ويسمى حاجته » أى بدل هذا الأمر ، ولا بأس أن يقول المستخير : وعاجل أمرى وآجله ، فى ذلك القول المذكور .

(١) ولا افتقر .

(٢) أى توسط فى النفقة بين الإسراف والتقتير .

(٣) وروى ابن عدى عن زيد بن ثابت رضى الله عنه – أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (طاعة النساء ندامة) وروى الإمام أحمد والعسكرى وغيرهما عن أبى بكر رضى الله عنه ، أنه صلى الله عليه وسلم قال : [هلكت الرجال حين أطاعت النساء] .

(٤) وكالسيدة أم سلمة التى أشارت عليه صلى الله عليه وسلم بنحر البدن وبالحلق ، يوم الحديبية ، حتى يقتدى به أصحابه الذين امتنعوا عن ذلك : رغبة أن يؤذن لهم فى قتال الكفار الذين أبوا زيارة المسلمين للبيت فى ذلك اليوم ، فذلك منه صلى الله عليه وسلم يكون اعلاناً بأن الله لم ينزل اذناً بالقتال حينئذ .

٩ - أثر التعاون والجمعيات التعاونية

فى سعادة الفرد والجماعة

الحمد لله أمر بالتعاون على الخير وعمل الصالحات ، ونهى عن التعاون على الظلم وفعل السيئات ، وأشهد أن لا إله إلا الله : أرشدنا إلى مافيه سعدنا ونفعنا ، وحذرنا مما فيه ضرنا وشقاؤنا ، وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله ، دعا إلى التعاون لتقوى الأمة ، وتعمها النعمة ، اللهم صلى وسلم على سيدنا محمد ؛ وعلى آله وأصحابه ، الذين تعاونوا على الخير وعملوا للصالح العام ، ففازوا بالسعادة ورضا العزيز العلام .

أما بعد : فقــــد قال الله تعالى : (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان واتقوا الله إن الله شديد العقاب) .

فى ذلك القول الكريم - يأمر الله جل شأنه بالتعاون على فعل الخيرات ، لتكمل سعادة الناس ، وتطيب حياتهم ، وتهنأ عيشتهم وينهى - تبارك وتعالى - عن التعاون على فعل الشر والمنكر ، لما فيه من مفاسد كثيرة ، وأضرار كبيرة وراءها عذاب أليم .

أيها المسلمون :

بالتعاون على الخير — يسعد الفرد والجماعة ، وتتحقق المشاريع الضخمة ، التى بها ترقى الأمة ، وتحيا سعيدة مكرمة .

فما من أمة تعاون أفرادها على جلب المنافع لها ، وتآزروا على تحقيق المشروعات التى تفيدها إلا عمها اليسر والهناء ، والخصب والرخاء ، ونالت العزة ، وفازت بالسيادة ، وكان نصيبها التقدم والإجلال ، وحسن الحال فى الحال والمآل .

وما من أمة تخاذلت وتفرقت ، ولم يساعد بعضها بعضاً ، إلا كان نصيبها الانحطاط والتأخر ، وعاقبتها الذل والهوان وسوء المصير ، وقد حذر الله سبحانه وتعالى عباده المؤمنين ذلك النصيب ، وتلك العاقبة ، فقال : (ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم) .

التعاون أمر فطر عليه الناس ، ولا يمكن لأحدهم أن يقوم بمفرده بمطالب الحياة ، فكل فرد محتاج إلى سواه ، لقضاء مصالحه ، وتبادل المنافع التي لابد منها .

انظر إلى الرغيف الذي به تقوم الحياة ، وإلى الثوب الذي يتقي به لابسه الحر والبرد ، ويستر عورته ويتجمل به ، فإنهما يصلان إلى الآكل واللابس ، بتعاون أياد كثيرة على وجود مادتهما ، والصنع والتوصيل .

وهكذا كل مطالب الحياة تنال بتعاون الناس ، وإن لم يشعروا بذلك فلماذا لايتعاونون على ماينفعهم ، ويربح بالهم ، ويوجد المحبة بينهم ، ويقوى رابطتهم ؟ لماذا لايؤلفون الجمعيات التعاونية لتيسير الحصول على حاجاتهم ؟ لماذا لايؤلف الزارعون الجمعيات التعاونية الزراعية ، لمساعدة المحتاج منهم ، ووقايتهم من المرابين ، الذين يستغلون حاجتهم ، وسلامتهم من هم الدين وضيق العيش والبلاء ؟

أيها المسلمون :

قال الله تعالى : (إنما المؤمنون إخوة) وقال رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم (١) : (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً) ، ومن

(١) رواه البخاري ومسلم .

حق الأخ على أخيه ، والمؤمن على المؤمن ـ أن يكون فى عونه ، لوصول الخير إليه ، ودفع الشر عنه.

وإذا تعاون الجيش والشعب على الدفاع عن الوطن ، ورد العدوان على حريته واستقلاله ـ انتصروا وسلم لهم وطنهم وخذل المعتدون .

عباد الله :

تعاون أسلافكم من بنى الإسلام ، فى الحرب والسلم ، وفى السراء والضراء ، فنصر المسلم أخاه ، ودله على الخير وقضى إله حاجته ، ورد عنه لهفته ، وردع ظالمه ، ومنع ظلمه ، وأعان الغنى الفقير ، وساعد السليم المريض ، وأخذ القوى بيد الضعيف ، فكان جانبهم مرهوباً ، وعدوهم مغلوباً ، فاتقوا الله واتبعوا سبيلهم ، وسارعوا إلى ما فيه عزكم ورقيكم ، وألفوا الجمعيات التعاونية ، وتعاونوا على الخير العام — تعيشوا ، وبخيرات بلادكم متمتعين (وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون) .

روى الترمذى عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : « من نفس عن مسلم كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ، ومن يسر على معسر فى الدنيا يسر الله عليه فى الدنيا والآخرة والله فى عون العبد ما كان العبد فى عون أخيه » .

وروى الطبرانى فى معجميه الصغير والأوسط ، وابن حبان فى صحيحه عن عائشة : رضى الله عنها — أنه ﷺ قال : [من كان وصلة لأخيه المسلم إلى ذى سلطان فى مبلغ بر ، أو تيسير عسير ـ أعانه الله

على إجازة الصراط يوم القيامة عند دحض (١) الأقدام] .

وروى الطبرانى ، فى معجميه الكبير والأوسط ، عن أبى الدرداء: رضى الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ ـ قال : [من كان وصلة لأخيه إلى ذى سلطان فى مبلغ بر ، أو إدخال سرور ـ رفعه الله فى الدرجات العلى من الجنة] .

(١) أى زلقها

١٠ — كن عزيزاً

الحمد لله : له الكبرياء فى الأرض والسماء ، وأشهد أن لا إله إلا الله : من نلوذ به فيما نؤمله ونرجوه ، ونعوذ به مما نحاذره ونخشاه ، وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله ، أعز بنى الإنسان ، وأعلى ذوى العلى ، اللهم صل وسلم على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه ، الأعزاء بطاعة الله .

أما بعد فقد قال الله تعالى : (ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين) : ذلك قول من له العزة جميعاً (العزيز الحميد ، الله الذى له ما فى السموات وما فى الأرض) ينطق بأن الرسول عزيز ، وأن المؤمنين أعزاء ، عرفوا قدرهم ، فلم يذلوا لغير الله الذى له وحده الخلق والأمر ، والغنى والملك ، ومصير العباد طوع مشيئته وإرادته .

فذل العبد لعبد مثله — باطل ، يترفع عنه المسلم لأن الإسلام — أوجب العزة ، وحرم الذل ، كما حرم الكبر ، وهو رد الحق على قائله ، واحتقار الناس .

أيها المسلم :

إن ابن الإسلام - وقد كرمه الله بالإيمان - لا يصغر ، ولا يكون ذنباً لإنسان ، ولا يتضع فى مكان ، وهو - مع ذلك يحترم الحق ويقبله من الناس ، ولا يحتقرهم : ويؤدى ما عليه من واجب لهم ، ويعاملهم بما فيه خيره وخيرهم .

وكيف لا يترفع المسلم عن الهوان والذل لعبد مثله ، وكيف يرضى خدش كرامته ، وجرح مكانته ، ولا يحترم نفسه — إذا أدى ما عليه

من واجب ، وأصبح لاسبيل لأحد عليه ، وهو المؤمن بأن كل متكبر - بعد الله - صغير ، وبأن الله - أكبر من أن يقاس بعظمته سواه ، وبأنه تعالى - بيده فقره وغناه .

أيها المؤمن بالله :

كن عزيزاً واضرع إلى الله فيما أصابك وفيما تريد ، ولا تذل لأحد من العبيد ، وأنت تتخذه سبباً فى المقصود واذكر قول رسول الله صلى الله عليه وسلم(١) : « اطلبوا الحوائج بعزة الأنفس فإن الأمور تجرى بالمقادير » ، « ومن(٢) تضعضع لغنى لينال مما فى يديه أسخط الله » ، وحسب من رضى الذل لنفسه أنه اتبع غير سبيل الرسول : قال صلوات الله وسلامه عليه(٣) « من أعطى الذلة من نفسه طائعاً غير مكره فليس منا » .

كن عزيزاً ولاتهب الموت ، ولاترض العار ، ودافع عن وطنك ، وعن نفسك وعرضك وأملاك ومالك ، وإن أريقت فى ذلك دماء - فإن هذا رخيص لصيانة الشرف الرفيع ، وقل الحق وإن كان مراً ، ولا تشهد زوراً إرضاء لأحد، أو خوفاً من ضرر(٤) « واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشىء لم ينفعوك إلا بشىء قد كتبه الله لك ، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشىء لم يضروك إلا بشىء قد كتبه الله عليك رفعت الأقلام وجفت الصحف » .

---

(١) رواه ابن عساكر .

(٢) جزء من حديث نبوى شريف رواه الطبرانى .

(٣) رواه الطبرانى .

(٤) جزء من حديث نبوى شريف رواه الترمذى .

كن عزيزاً ، واعمل صالحاً ولا ترتكب الآثام ، فإن ارتكابها سبيل السقوط والخزى والذل والهوان . قال تعالى : (للذين أحسنوا الحسنى(١) وزيادة(٢) ولا يرهق(٣) وجوههم قتر(٤) ولا ذلة أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون . والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها وترهقهم ذلة مالهم من الله من عاصم(٥) كأنما أغشيت(٦) وجوههم قطعاً من الليل مظلماً أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) .

أيها المسلم :

من اعتز بغير الله ذل ، وكل عز بغير الله مصيره الزوال ؛ فكن عزيزاً بالله ، ولازم تقواه .

روى الحكيم الترمذى ، وأبو نعيم ، والقضاعى ، عن عمر : رضى الله عنه قال : « من اعتز بالعبيد أذله الله » .

وروى الطبرانى ، عن أبى ذر : رضى الله عنه . قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من أصبح وهمه الدنيا - فليس من الله فى شىء ، ومن لم يهتم بالمسلمين - فليس منهم ، ومن أعطى الذلة من نفسه طائعاً غير مكره - فليس منا) .

---

(١) الجنة .
(٢) النظر إليه تعالى كما فى حديث مسلم .
(٣) ولا يغشى . (٤) سواد .
(٥) مانع . (٦) ألبست .

١١ — الحث على السعى فى طلب الرزق ومطالب الحياة

الحمد لله : خلق الإنسان ، وخلق له ما فى الأرض جميعاً ، وأشهد أن لا إله إلا الله القائل : « ولقد مكناكم (١) فى الأرض وجعلنا لكم فيها معايش (٢) قليلا ما تشكرون » وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله دعا إلى العمل ، وحذر من الخمول والكسل . للانتفاع بنعم الأرض وخيراتها . اللهم صلى وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه . الذين سعوا فى مرضاة الله (فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون).

أما بعد فقد قال الله تعالى : (وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا) .

يرشد ذلك القول الكريم إلى أن يسعى الإنسان ، ويعمل للدار الآخرة ، وكسب ثوابها ، ولما يحتاج إليه فى الدنيا من أمر المعاش ، فهو وسيلة إلى خير الآخرة ، ومعين عليه . فالدنيا دار المعاش ، مزرعة الآخرة ، التى إليها المعاد .

عباد الله :

من شغله معاشه عن معاده فهو من المفرطين (٣) الهالكين ، ومن شغله معاده عن معاشه فهو من الغالين(٤) المكروهين ، ومن شغله

---

(١) مكناكم من سكناها وزرعها والتصرف فيها .
(٢) أسباباً تعيشون بها .
(٣) المقصرين المضيعين .
(٤) المتشددين حتى جاوزوا الحد .

معاشه لمعاده فهو من المقتصدين المحبوبين ، وفى الحكم المأثورة « خيركم من لم يترك آخرته لدنياه ، ولا دنياه لآخرته ، ولم يكن كلا (١) على الناس » وروى أن عيسى عليه السلام – رأى رجلا ، فقال : ما تصنع؟ قال : أتعبد ، قال : ومن يعولك ؟ قال أخى ، قال : وأين أخوك ؟ قال فى مزرعته ، قال : أخوك أعبد منك .

فمن ترك الدنيا وراء ظهره ، ولم يعمل فيها فكره ، ولم يشغل بها شيئاً من وقته ، ولم يسع فيها لحاجته – كان حملا ثقيلا على من يكسوه ، ويطعمه ويسقيه ، وعد أحمق سيء الرأى وعاش سيء الحال مكروهاً ، حقيراً ذليلا .

وقد أخطأ من زعم أن ترك السعى على الرزق من الزهد ، الذى قال فيه رسول الله ﷺ (٢) : « ازهد فى الدنيا يحبك الله » ، فإن الزهد معناه ألا يجعل الإنسان الدنيا أكبر همه ، ولا يشغل بها كل زمانه ، غافلا عما يجب عليه لآخرته ، ولقد اتجر الرسول ﷺ ، واتجر أصحابه رضى الله عنهم ، وكانوا يعملون فى نخيلهم ومزارعهم ، وكفى بهم قدوة وقد قال صلوات الله وسلامه عليه : – فى شاب سعى فى سبيل قوته (٣) « إن كان يسعى على نفسه ، ليكفها عن المسألة ، ويغنيها عن الناس ، فهو فى سبيل الله ، وإن كان يسعى على أبوين ضعيفين أو ذرية ضعاف ،

---

(١) ثقلا .

(٢) تمام الحديث « وازهد فيما فى أيدى الناس يحبك الناس » رواه ابن ماجه بسند حسن عن أبى العباس سهل بن سعد الساعدى رضى الله عنه .

(٣) رواه الطبرانى فى معاجمه الثلاثة من حديث كعب بن عجرة ، ورجاله رجال الصحيح .

ليغنيهم ويكفيهم ، فهو فى سبيل الله ، وإن كان يسعى تفاخراً وتكاثراً فهو سبيل الشيطان » .

أيها المسلمون :

القرآن الذى يقول لكم : (وما من دابة فى الأرض إلا على الله رزقها) هو الذى يقول لكم (هو الذى جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا فى مناكبها (١) وكلوا من رزقه وإليه النشور) (٢) .

القرآن الذى يقول لكم : (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون) هو الذى يقول لكم : (فإذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون) ، فاتقوا الله ، واعملوا بكتاب الله ، وتمسكوا بآداب دينكم ، واحذروا البطالة والكسل ، وجدوا فى تحصيل قوتكم ، وطلب رزقكم ، وما به قوام حياتكم وحياة من تعولون وعليهم تنفقون - تعيشوا أعزاء كراماً ، وتنالوا أجراً عظيماً .

روى الطبرانى ، عن عائشة : رضى الله عنها أنه صلى الله عليه وسلم قال : « اطلبوا الرزق فى خبايا الأرض ، أى بالزرع وغرس الأشجار فيها ، وباستخراج جواهرها ، ومعادنها ، التى يصنع منها المصنوعات لطيب الحياة وازدهارها .

وروى الديلمى فى مسند الفردوس عن أنس رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « أصلحوا دنياكم (٣) واعملوا لآخرتكم كأنكم تموتون غداً » .

---

(١) أى جوانبها (٢) المرجع (٣) أى أمر معاشكم فى الدنيا .

وروى مالك ، والبخارى ، ومسلم ، والترمذى والنسائى ، عن أبى هريرة : رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : [لأن يحتطب أحدكم حزمة على ظهره — خير له من أن يسأل أحداً ، فيعطيه أو يمنعه] .

وروى الطبرانى فى معجمه الأوسط ، عن عائشة : رضى الله عنها — أن رسول الله ﷺ قال : « من أمسى كالا من عمـــل يده — أمسى مغفوراً له »

١٢ – التحذير من الغش الاجتماعى

الحمد لله ، يحب المخلصين الناصحين ، وأشهد أن لا إله إلا الله ، يبغض أهل الغش المخادعين ، وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله ، الصادق الأمين ، اللهم صل وسلم على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه ، الذين كانوا فى قولهم صرحاء ، وفى معاملتهم أمناء ، فرضى عنهم رب العالمين .

أما بعد فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم(١) : «من غشنا فليس منا» .

أيها المسلمون :

ليس الغش مقصوراً على خلط اللبن بالماء ، أو الرز بالحصباء (٢) ، أو النخالة بنشارة الخشب ، أو السماد بالتراب ، أو تطفيف الكيل وإخسار الميزان ، وما إلى ذلك من أنواع الغش فى البيع والشراء ، فإن من الغش ما هو أسوأ من كل ذلك أثراً ، وأعظم شراً ، كغش الأصدقاء والزملاء ، والزوجين لبعضهما ، وغش الدولة فى مصالحها وأعمالها .

يصاحبك بعض الناس فى الرخاء ، وتعتقد أنهم لك أصدقاء ، فإذا نزلت بك شدة هجروك ، كأنهم لم يعرفوك ، لا يدلونك على ما فيه خيرك ولا ينصحون لك ، لتسلم مما فيه ضرك ؛ ويقابلك بعض الزملاء بابتسام فإذا فارقتهم أخذوا يذمونك بمختلف المذام ، فهم فى الوجه مرآة ، وفى الظهر مكواة .

---

(١) رواه مسلم (٢) صغار الحصى .

الا إن أولئك الأصدقاء، وهؤلاء الزملاء — غاشون: (يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون. في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون).

ومن الزوجات من تخرج عقب خروج زوجها لعمله، لتفي بوعد الرفاق، وتقابل العشاق؛ وتخرج من دار إلى دار، تاركة وراءها العار، ومستوجبة غضب الجبار، فإذا جاء زوجها المنزل - أظهرت له البشاشة وهي خادعة غشاشة، وعرفته أنها لم تفارق بيتها، وأنها طول الوقت منهمكة في عملها، وهي كاذبة في قولها، ومن الأزواج — من يغش زوجته ويظهر أنه عفيف، وهو خائن غير شريف. يصاحب امرأة غيرها، وينفق ماله ووقته عليها وما الله بغافل عن ذلك الفاجر الظالم (وإن الفجار لفي جحيم)، (وما للظالمين من أنصار)، ومن الموظفين من لا يقدرون المسئولية، ولا يشعرون بتكاليف الوظيفة، فلا يؤدون عملهم بإخلاص، ولا ينجزون ما لديهم من أعمال، ويشغلون الوقت بتوافه الأمور يقطعونه في شرب القهوة ونحوها، وقراءة الصحف وزيارة مكاتب إخوانهم وقضاء حاجاتهم الشخصية، ويعطلون مصالح الجمهور، ويرفعون أصواتهم بالشكوى من كثرة الأعمال، وبأنهم في عملهم مجتهدون والله يعلم إنهم لكاذبون، وما يأكلون إلا سحتاً وحراماً. فليتنبه أولئك الغاشون من غفلاتهم، فما الله بغافل عنهم (الا يظن أولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم. يوم يقوم الناس لرب العالمين).

أيها المسلمون:

إن الغش الاجتماعي — مرض يجب استئصاله، ووباء حتم زواله

فما انتشر فى أمة إلا مزق وحدتها ، وفرق جمعها وأضعفها وجعلها ذليلة وانتهى بها إلى الزوال ، فاتقوا الله وتنزهوا عن الغش الاجتماعى ، وأخلصوا عملكم لله ، وكونوا فى أقوالكم صرحاء ، ولا تخونوا أماناتكم وانصحوا المسلمين ولا تعطلوا مصالح الناس التى تحت أيديكم، واعلموا أن الله يحاسبكم على معاملتكم ويعاقبكم على سوء فعلكم (وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير) .

روى الطبرانى عن حذيفة بن اليمان رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من لا يهتم بأمر المسلمين فليس منهم ومن لم يصبح ويمس ناصحا لله ولرسوله ولكتابه ولإمامه ولعامة المسلمين فليس منهم) .

وروى الإمام أحمد والبيهقى ، عن أبى ذر رضى الله عنه — أن رسول الله صلى الله عليه وسلم — قال :(قد أفلح من أخلص قلبه للإيمان وجعل قلبه سليما ولسانه صادقاً ، ونفسه مطمئنة ، وخليقته مستقيمة وجعل أذنه مستمعة ، وعينه ناظرة ، فأما الأذن فتمع ، والعين مقرة بما يوعى القلب ، وقد أفلح من جعل قلبه واعياً) .

١٣ - الترغيب فى العدل والترهيب من الظلم

الحمد لله، من عدل وأعطى كل ذى حق حقه — منحه رضاه، ومن ظلم وحرم الناس حقوقهم — غضب عليه وأشقاه، وأشهد أن لا إله إلا الله: يمهل الظالمين ولا يهملهم، ويكتب ما قدموا ولا يتركهم، وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله، خير من رغب فى العدل، ورهب من الظلم، اللهم صل وسلم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه، الذين عاشوا بالعدل فى سعد وعز وأمان، وملكوا القلوب وكانت لهم القيادة فى الأوطان.

أما بعد فقد قال الله تعالى: (اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون).

أيها المسلمون:

العادل مخلص فى طاعة الله، ويلتزم تقواه، ولا يحابى قويا ولا يضيع حق ضعيف، ولا يشهد زوراً، ولا يقول باطلا، ولا يخاف فى الحق لومة لائم، ولا يطمع فى حق غيره، فإليه تطمئن النفوس، وبه يحيا الأمل وينال.

العادل لا يبغى على أحد ولا يدبر سوءاً ولا يكيد لأحد: سمع نداء مولاه (١): «ياعبادى إنى حرمت الظلم على نفسى وجعلته بينكم

---

(١) جزء من حديث رواه مسلم عن أبى ذر رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم فيما يروى عن ربه عز وجل.

محرماً فلا تظالموا ، وقوله جلا علاه : (ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه) فانتهى عما نهاه عنه سبحانه : يبغى سلامة دنياه وأخراه ، متدبراً ماقال رسول الله صلى الله عليه وسلم(١): « اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة » .

والعادل يمنع الظالم من ظلمه ، وينصف المظلوم من ظالمه فقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم(٢) : « انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً، فقال رجل يارسول الله أنصره إذا كان مظلوماً أفرأيت إن كان ظالماً كيف أنصره ؟ : قال تحجزه أو تمنعه عن الظلم فإن ذلك نصره » .

وإن الله يؤيد العادل بنصره ، ويمده بجنده ، وكفى أنه لايتعرض لدعوة المظلوم ، ولا يكون هدفاً لسهمها المسموم(٣) ودعوة المظلوم يرفعها الله فوق الغمام (٤) وتفتح لها أبواب السماء ، ويقول الرب وعزتى وجلالى لأنصرنك ولو بعد حين » .

يعيش العادل مطمئن النفس ، كاسبا لرضا الناس ، فائزاً بحب الله ورضاه ، ويحيا الظالم ، نفسه منه فى شقاء ، والناس منه فى بلاء وعناء ، وله من الله شر الجزاء . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قال الله

---

(١) جزء من حديث نبوى شريف رواه مسلم وغيره .
(٢) رواه البخارى .
(٣) روى الترمذى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ثلاثة لاترد دعوتهم: الصائم حين يفطر ، والإمام العادل ، ودعوة المظلوم » إلى آخر الكلام بين القوسين ، وروى هذا الحديث ابن ماجه وابن خزيمة وابن حبان فى صحيحيهما الا أنهم قالوا : (حتى يفطر) .
(٤) أى السحاب .

تبارك وتعالى(١): « وعزتى وجلالى لأنتقمن من الظالم فى عاجله وآجله ولأنتقمن ممن رأى مظلوماً فقدر أن ينصره فلم يفعل » .

فللظالم فى دنياه يوم أسود من الليل البهيم ، وعذاب دون عذابه الجحيم ، (ولعذاب الآخرة أشد وأبقى) .

وإذا ساد العدل بين أفراد أمة - عزت وسعدت ، وعاشت عيشة راضية ، طيبة صافية ، والأمة التى يكثر فيها الظلم - تكثر بين أفرادها المنازعات ، وتسود فيها الخصومات ، ويشغل فيها الحاكم عن مصالح هى أجدر بالعناية وأحق بالرعاية ، فيكون مآلها الشقاء والفناء ، وتأملوا قوله تعالى : (فتلك بيوتهم خاوية(٢) بما ظلموا إن فى ذلك لآية(٣) لقوم يعلمون) .

أيها المسلمون :

اعدلوا ولا تظلموا (ولا تركنوا(٤) إلى الذين ظلموا فتمسكم النار ومالكم من دون الله من أولياء(٥) ثم لاتنصرون) .

روى مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن المقسطين عند الله على منابر

---

(١) رواه أبو الشيخ .
(٢) متهدمة .
(٣) لعبرة .
(٤) لا تميلوا أدنى ميل إليهم .
(٥) من نصراء .

من نور عن(١) يمين الرحمن وكلتا يديه يمين : الذين يعدلون فى حكمهم وأهليهم وما ولوا » .

وروى البخارى ومسلم والترمذى عن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله يملى(٢) للظالم فإذا أخذه لم يفلته »(٣) ثم قرأ :(وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهى ظالمة إن أخذه أليم شديد) .

وروى الإمام أحمد ، عن أبى هريرة : رضى الله عنه . قال : قال رسول الله ﷺ : [دعوة المظلوم مستجابة : وإن كان فاجراً ـ ففجوره على نفسه] .

---

(١) هذا تمثيل لإكرام المقسطين ، وإعظام أجرهم ، وعلو درجتهم عند الله ، وإلا فالله تعالى منزه عن الجهة ، ومخالف الحوادث . قال تعالى : (ليس كمثله شىء وهو السميع البصير) ، ولما كان العطاء باليمين قال : وكلتا يديه يمين ، أى العطاء بكلتا يديه ، والله تعالى منزه عن الجارحة . فهو تمثيل لكثرة عطاء الله للمقسطين ، وعظم ثوابهم . (٢) يمهل .

(٣) لم يخلصه من العذاب .

١٠ – النصر وحسن الحال والمآل

بتقوى الله تعالى

الحمد لله : جعل التقوى سبب رضاه فى دنياه وأخراه ، وأشهد أنه لا إله إلا الله : من اتقاه نال مناه ، وشرف مآله وأكرم مثواه ، وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله ، أفضل الأنبياء ، وخير الأتقياء ، اللهم صل وسلم على سيدنا محمد ، وعلى آله وأصحابه ، الذين اتقوا ربهم فآمنوا وفازوا .

أما بعد : فقد قال الله تعالى : (ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله) .

فبالوصية بالتقوى جاءت الكتب السماوية السابقة ، كما جاء بها القرآن الكريم .

والتقوى — ياعباد الله . . هى أن تجعلوا أنفسكم دائماً فى وقاية من غضب الله وعقابه ، فتكونوا دائماً عند أمره تعالى ونهيه ، فلا يراكم سبحانه حيث نهاكم ، ولا يفقدكم حيث أمركم ، وبذلك تفوزون بخيرى الدنيا والآخرة ، ويقهر الله عدوكم ، ويمدكم سبحانه بنصره : (وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم) .

من اتقى الله نجا من الشدائد ، وتيسر له الرزق من جهة لا تخطر له ببال ، وفاز بعظم الأجر . قال الله عز وجل (١) : (ومن يتق الله

---

(١) عن محمد بن إسحاق قال : جاء مالك الأشجعى إلى النبى صلى الله عليه وسلم

يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب) ، وقال سبحانه : (ومن يتق الله يجعل له من أمره يسراً) وقال : (ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجراً) .

ومن اتقى الله أصلح له عمله ، وغفر ذنبه . قال تعالى : (يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديداً . يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً)

فقال : أسر ابني عوف ، فقال : سأرسل إليه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرك أن تستكثر من قول : لا حول ولا قوة إلا بالله ، فأتاه الرسول ، فأخبره ، فأكب عوف يقول : لا حول ولا قوة إلا بالله ، وكانوا قد شدوه بالقد فسقط القد عنه فخرج فإذا هو بناقة لهم ، فركبها فأقبل . فإذا هو بسرح القوم ، فصاح بهم ، فاتبع آخرها أولها ، فلم يفجأ أبويه إلا وهو ينادي بالباب ، فقال أبوه : عوف ورب الكعبة ، فقالت أمه : واسوأتاه ، وعوف كئيب بألم ما فيه من القد ، فاستبق الأب الباب ، والخادم إليه ، فإذا عوف ملأ الفناء إبلا . فقص على أبيه أمره وأمر الإبل . فأتى أبوه رسول الله صلى الله عليه وسلم . فأخبره بخبر عوف وخبر الإبل . فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : اصنع بها ما أحببت وما كنت صانعا بإبلك ونزل : (ومن يتق الله يجعل له مخرجاً . ويرزقه من حيث لا يحتسب . ومن يتوكل على الله فهو حسبه) رواه آدم بن أبي اياس في تفسيره .

ومعنى لا حول ولا قوة إلا بالله . لا حول عن الشر والمعصية . ولا تحول عنهما ولا قوة على الخير والطاعة إلا بتوفيق الله تعالى .

والقد بكسر القاف : السير يقد من جلد غير مدبوغ . والسرح : المال السائم أي الراعي كالإبل الراعية . واسوأتاه : وافضيحتاه .

والسوأة : العورة . وهي فرج الرجل والمرأة . وسميت العورة سوأة . لأن انكشافها للناس يسوء صاحبها .

ومعنى فاستبق الأب الباب : بادر إليه . والفناء بكسر الفاء : هو سعة أمام البيت . وقيل : ما امتد من جوانبه .

ومن اتقى الله قبل الله تعالى عمله . قال سبحانه : (إنما يتقبل الله من المتقين) .

ومن اتقى الله أكرمه سبحانه وأعزه . قال جل شأنه : (إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير) .

ومن اتقى الله — أحبه جل علاه : قال سبحانه : (إن الله يحب المتقين) .

ومن اتقى الله — فاز بالبشرى فى دنياه وأخراه . قال تعالى : (الذين آمنوا وكانوا يتقون . لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم) .

ومن اتقى الله — حفظه من عداه ، وأنجاه مما يخاف ووقاه . قال تعالى : (وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا إن الله بما يعملون محيط) ، وقال رسول الله ﷺ (١) : « من اتقى الله وقاه كل شىء » .

ومن اتقى الله أمده بعونه ، وأيده بنصره : قال تعالى : (إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون) وقال سبحانه : (والله ولى المتقين) وقال جل شأنه : (والعاقبة للمتقين) .

لذلك قال داود بن نصر الطائى : ما خرج عبد من ذل المعاصى إلى عز التقوى إلا أغناه الله بلا مال ، وأعزه بلا عشيرة ، وآنسه بلا أنيس .

وكل زاد ينفد ويفنى ، وكل لباس يتمزق ويبلى ، سوى تقوى الله وقد قال تبارك وتعالى : (وتزودوا فإن خير الزاد التقوى) ، وقال :

---

(١) رواه الخطيب فى تاريخه .

(ولباس التقوى ذلك خير) .

ومن اتقى الله ـ منحه نصيبين من رحمته ، وجعل له نوراً يمشي به راشداً مهتدياً ، ويفرق به بين الحق وبين الباطل ، قال تعالى : (ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نوراً تمشون به ويغفر لكم والله غفور رحيم) ، وقال جل وعز : (يأيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم والله ذو الفضل العظيم) .

ومن اتقى الله أنجاه الله من النار ، عند الورود عليها قال تعالى : (وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا . ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا)(١) .

ومن اتقى الله كانت الجنة مثواه ، وأكرمه الله وأعلاه قال تعالى : (وأزلفت الجنة للمتقين) وقال سبحانه : (لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف مبنية تجري من تحتها الأنهار وعد الله لا يخلف الله الميعاد) .

أيها المسلمون :

إن الأمم تسعى جاهدة لعقد المحالفات العسكرية ، ليزدادوا قوة إلى قوتهم .

فاسعوا إلى إمدادكم بقوة الله ، بالتزام تقواه ، فهو الغالب الذي لا يغلب ، وهو على كل شيء قدير .

---

(١) باركين على ركبهم .

احرصوا على تقوى الله حرصكم على السلاح بأيديكم أو أشد ، فإنها السلاح الأحد ، قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب لقائد جيشه الذى أرسله لفتح فارس ، سعد بن أبى وقاص : سلام عليك : وأما بعد : فإنى آمرك ومن معك من الأجناد بتقوى الله على كل حال . فإن تقوى الله أفضل العدة على العدو ، وأقوى المكيدة فى الحرب ، وآمرك ومن معك أن تكونوا أشد احتراساً من المعاصى منكم من عدوكم ، فإن ذنوب الجيش أخوف عليكم من عدوهم ، وإنما ينصر المسلمون بمعصية عدوهم لله ، ولولا ذلك لم تكن لنا بهم قوة ، لأن عددنا ليس كعددهم ولا عدتنا كعدتهم ، فإن استوينا فى المعصية كان لهم الفضل علينا فى القوة ، وإلا ننصر عليهم بفضلنا لم نغلبهم بقوتنا . فاعلموا أن عليكم فى سيركم حفظة من الله يعلمون ما تفعلون ، فاستحيوا منهم ، ولا تعملوا بمعاصى الله وأنتم فى سبيل الله ، ولا تقولوا إن عدونا شر منا فلن يسلط علينا ، فرب قوم سلط عليهم شر منهم كما سلط على بنى إسرائيل — لما عملوا بمعاصى الله — كفار المجوس (١) ، فجاسوا

---

(١) قال الله تعالى فى كتابه الكريم : (وقضينا الى بنى اسرائيل فى الكتاب لتفسدن فى الأرض مرتين ولتعلن علواً كبيراً . فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عباداً لنا أولى بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعداً مفعولا . ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيراً . ان أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وان أسأتم فلها فإذا جاء وعد الآخرة ليسوءوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيراً . عسى ربكم أن يرحمكم وان عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا) .

والمعنى : وأوحينا الى بنى اسرائيل فى التوراة : لتفسدن فى الأرض — أرض الشام — مرتين . ولتستكبرن استكبارا عظيما . فإذا جاء وقت العقوبة لمدة الإفساد الأولى . وهى مخالفة التوراة . وقتل أشعيا — سلطنا عليكم عباداً لنا أولى =

خلال الديار، وكان وعداً مفعولا ، واسألوا الله العون على أنفسكم، كما تسألونه النصر على عدوكم ، وأسأل الله ذلك لنا ولكم .

روى الترمذى عن أبى إمامة صدى بن عجلان الباهلى رضى الله عنه قال. سمعت رسول الله ﷺ يخطب فى حجه (١) الوداع، فقال : «اتقوا الله وصلوا خمسكم (٢) وصوموا شهركم (٣) ، وأدوا زكاة أموالكم ، وأطيعوا (٤) أمراءكم ، تدخلوا جنة ربكم» .

= قوة شديدة . وكانوا بقيادة بختنصر ، وهو من المجوس من ملوك بابل . فجالوا فى وسط دياركم يقتلونكم . وكان ذلك وعدا لابد أن يفعل ثم أعدنا لكم الدولة والغلبة عليهم . وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر رجالا مقاتلين . ان أحسنتم أحسنتم لأنفسكم . وأن أسأتم فعليها . فإذا جاء وقت عقوبة مدة الإفساد الآخرة . وهى قتل زكريا ويحيى . والكفر بعيسى — بعثنا عليكم اعبادنا أولى القوة الشديدة بقيادة ملك الروم ، ليسوءوا وجوهكم ، وليدخلوا المسجد الأقصى ، كما دخلوه أول مرة ، وليهلكوكم مدة غلبتهم اهلاكاً عسى ربكم أن يرحمكم بعد المرة الأخرى ، وان عدتم الى العصيان عدنا الى عقوبتكم مرة ثالثة ، وقد عادوا بتكذيب رسولنا سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، فقتلهم وجلاهم عن أرض الحجاز (وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا) أى محبساً ، يحصرون فيه ، لايستطيعون الخروج منه .

(١) كانت سنة عشر من الهجرة .

(٢) الصلوات الخمس .

(٣) شهر رمضان .

(٤) أى فى غير معصية الله .

١٥ — الحياة الطيبة وحسن العاقبة بصلاح القلب

الحمد لله : من عرفه وعبده ـ وجد نصره وتأييده ، وأشهد أن لا إله إلا الله : يعلى قدر من عظمه ومجده ، وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله ، أعظم الناس خلقاً ، وأسلمهم قلباً . اللهم صل وسلم على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه ، ذوى القلوب الصالحة ، الذين عرفوا ربهم ، فقدروه حق قدره ، ففازوا برضاه وعظيم أجره .

أما بعد : فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم(١) : « ألا وإن فى الجسد مضغة(٢) إذا صلحت صلح الجسد كله ، وإذا فسدت فسد الجسد كله ، ألا وهى القلب » .

فعلامة القلب الصالح صلاح الأعضاء واستعمال الإنسان لها فيما ترضى باسط الأرض ورافع السماء .

ألا إن القلب الصالح صاحبه مستمسك بالدين ، وسائر على الصراط المستقيم . ينطق بالصدق وبما فيه مصلحة الخلق وإرضاء الله الملك الحق وينظر بعينه إلى الحلال ، ولا ينظر إلى الحرام ، ويسمع بأذنه الخير لا الشر ، فلا يسمع الإشاعات الكاذبة ، ولا النميمة ولا الغيبة ، وإنما

---

(١) جزء من حديث نبوى شريف رواه البخارى ومسلم .

(٢) القطعة من اللحم وهى قدر ما يمضغه الماضغ . يعنى بذلك صغر حجم القلب وعظم قدره .

يسمع القرآن ، والتوجيه لما فيه خير الأوطان ، ويمد يده بالإحسان ، ويتبرع بما يستطيع لخير المواطنين ، ولا يمشى برجله لمنكر ، وإنما يمشى إلى المساجد يعمرها بالعبادة ، وإلى المتخاصمين ليصلح بينهم فيفوز بالعزة والسعادة ، ويمشى فى مصلحة الأمة وخيرها ، وإسعادها ووقايتها من ضرها ، ابتغاء وجه الله تعالى ، فيساهم فى بناء المستشفيات ، وإقامة المدارس ، وما إلى ذلك من المشاريع الخيرية ، ويبذل نفسه وماله لحماية وطنه ونصره ، وترقيته وعلو شأنه .

ألا إن صاحب القلب الصالح يسره فعل الخير ويسوؤه فعل الشر ، ويطيع الله ورسوله فى ليله ونهاره ، وسره وجهاره : (ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيما) .

وإنما يكون القلب صالحاً إذا كان بالإيمان عامراً ومنوراً .
اسمعوا وتأملوا واعتبروا .

قال النبى صلى الله عليه وسلم لحارثة بن مالك الأنصارى(١) :
« كيف أصبحت ياحارثة ؟ قال : أصبحت مؤمناً حقاً ، فقال له(٢) : إن لكل قول حقيقة(٣) فما حقيقة إيمانك ؟ فقال : عزفت(٤) نفسى عن الدنيا ، فاستوى عندى حجرها وذهبها ، فأسهرت(٥) ليلى ،

---

(١) أخرجه الطبرانى والبزار وغيرهما .
(٢) وفى رواية قال له : اعلم ماتقول ، أو انظر ما تقول .
(٣) حقيقة الشىء منتهاه وأصله المشتمل عليه .
(٤) أى انصرفت وأعرضت .
(٥) أى فى طاعة الله تعالى .

وأظمأت(١) نهاري وكأني أرى عرش ربي بارزاً ، وكأني أنظر إلى أهل الجنة يتزاورون فيها ، وكأني أسمع عواء(٢) أهل النار ، فقال(٣) صلى الله عليه وسلم : من سره أن ينظر إلى من نور الله قلبه فلينظر إلى حارثة بن مالك » .

ياقوم :

عمر قلب حارثة بالإيمان بالله وجلاله ، وإحسانه وفضله ، فصغرت في عينه الدنيا وقل نعيمها بجانب نعيم الجنة ، وهانت آلامها بالنظر لآلام النار ، ولم ير أحداً أعلى وأجل من الله ، فامتلأ قلبه نوراً ، وأطاع الله ورسوله ليلا ونهاراً ، سراً وجهاراً .

فاسعوا لتنوير قلوبكم كما نور قلب حارثة ، نوروها بالإيمان بالله ، الذي بيده الغنى والفقر ، والعز والذل ، والقوة والضعف ، الذي ينصر أحباءه ذوي القلوب المنورة ، والنفوس الطاهرة ، مع قلة العدد والعدد ، على أعدائهم مهما كثروا وتسلحوا ، فهو سبحانه بيده القلوب ، إن شاء ملأها شجاعة وجرأة وإقداماً ، وإن شاء ملأها جبناً ورعباً وإحجاماً ، وقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم(٤) « نصرت بالرعب مسيرة شهر » ، ومن جنوده تعالى الريح العاتية ، والوحوش الضارية ، والأمراض الفتاكة ، يصيب بها من يشاء ، ومن جنوده الملائكة ،

---

(١) أي بالصوم لله ، ادخاراً لثوابه عنده تعالى .

(٢) صوتهم وصياحهم .

(٣) وفي رواية أنه صلى الله عليه وسلم قال لحارثة : عرفت فالزم .

(٤) جزء من حديث نبوي شريف رواه البخاري ومسلم

يمد يوم عباده الاحياء (ولله جنود السموات والأرض وكان الله عزيزاً حكيماً) .

وتأملوا : حينما التقى جيش العرب ، المسلم النير القلوب ، بجيش الفرس ، تقدمه (١) الفيلة عليها الابطال — ألهم الله جيش العرب أن يعمل السيوف فى خراطيم الفيلة ، فولت الادبار ، ومنى جيش الفرس بالانكسار .

أيها المسلمون :

نوروا قلوبكم ، وأصلحوها بالإيمان بالله ، القوى القادر ، العزيز القاهر ، فأكثروا من التفكر فيما تشاهدون من مناظر بقدرته تعالى ناطقة ، وفيما تسمعون من أخبار بحكمته تعالى لكم هاتفة ، وأجيبوا داعى الحق ، القرآن قانونكم ، والرسول ﷺ قدوتكم وحبيبكم ، تحيوا مستقيمين ، أعمالكم صالحة ، وأخلاقكم كريمة ، ومعاملاتكم طيبة ـ ويطيب عيشكم على الدوام ، وتفوزوا بالجنة دار السلام (ياأيها الذين آمنوا (٢) اتقوا الله وآمنوا برسوله (٣) يؤتكم كفلين (٤) من رحمته ويجعل لكم نوراً تمشون به ويغفر لكم والله غفور رحيم) .

روى مسلم فى صحيحه عن سفيان بن عبد الله الثقفى رضى الله عنه قال:

---

(١) تتقدمه .

(٢) أى بالرسل المتقدمة

(٣) سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم

(٤) نصيبين من رحمته لايمانكم بمحمد صلى الله عليه وسلم وايمانكم بمن قبله

قلت : يارسول الله ، قل لى فى الإسلام قولا لا أسأل عنه أحداً غيرك ،
قال : قل : آمنت بالله ثم استقم » .

وروى الإمام أحمد فى مسنده والطبرانى ، فى معجمه الكبير ، عن
معاذ : رضى الله عنه — أن رسول الله ﷺ — قال : (إن شئتم أنبأتكم
ماأول مايقول الله تعالى يوم القيامة ، وماأول مايقولون له ؛ فإن الله
تعالى يقول للمؤمنين : هل أحببتم لقائى؟ فيقولون : نعم يارتنا. فيقول:
لم ؟ فيقولون : رجونا عفوك ومغفرتك ، فيقول : قد أوجبت لكم
عفوى ومغفرتى) .

١٦ – يقظة الضمير خير الدنيا والآخرة

الحمد لله : عالم الغيب والشهادة ، وأشهد أن لا إله إلا الله يحب صاحب الضمير السليم الحى ، ويمنحه السعادة وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله ، أطهر الناس قلباً ، وأزكاهم نفساً ، وأيقظهم ضميراً ، اللهم صل وسلم على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه ، ذوى السرائر النقية . والضمائر الطيبة البهية ، والقلوب الصافية التقية (أولئك هم خير البرية).

أما بعد : فقد قال الله تعالى : (إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون(١) . والذين هم بآيات ربهم يؤمنون . والذين هم بربهم لا يشركون . والذين يؤتون (٢) ما آتوا وقلوبهم وجلة (٣) أنهم إلى ربهم راجعون . أولئك يسارعون فى الخيرات وهم لها سابقون) .

أيها المسلمون :

من كان حى الضمير — رأى أن حق الله عليه عظيم ، فقدره حق قدره ، وشكر له معترفاً بإحسانه فسارع فى فعل الخير وكف عن فعل الشر ، وكان حسن النظر فى العواقب ، فدان نفسه ، وأذلها وأخضعها لله وحده واتباع دينه ، ولم يتبع هواها ؛ وحاسبها مراقباً له تبارك وتعالى فيما يأتى ويدع ، وفى كل تصرف ، راغباً فى رحمته تعالى وثوابه .

(١) إن الذين هم من عذاب ربهم ، الذى هو سبب الخوف منه تعالى — خائفون.
(٢) يعطون من أموالهم ما أعطوا.
(٣) خائفة (أنهم إلى ربهم راجعون) فيحاسبهم على ما عملوا ؛ وقال تعالى : (إنه على رجعه لقادر . يوم تبلى السرائر) أى تكشف ضمائر القلوب.

خائفاً من نقمته وعذابه ، مؤمناً أنه جل شأنه ، لايخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء (يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور) ، وأنه سبحانه عادل في جزائه : (فمن يعمل مثقال (١) ذرة (٢) خيراً يره . ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره) .

من كان حي الضمير — صلحت عقيدته ؛ وحسنت أقواله وأعماله ، ومعاملته ومعاشرته ، وكرمت أخلاقه ، ولم يرتكب الدنايا ، وبعد عما لاينبغي ولايليق ؛ وكان الحياء حليته ، وقد قال رسول الله ﷺ (٣) : « الحياء من الإيمان ، والإيمان في الجنة » .

وقال صلوات الله وسلامه عليه (٤) : « ما كان الفحش في شيء إلا شانه ، وما كان الحياء في شيء إلا زانه » .

من كان حي الضمير — عبد الله بإخلاص ، وصنع المعروف ، ابتغاء وجه الله تعالى ، لاطلباً لثناء الناس ، وتناول الحلال ، واجتنب الحرام والتزم العدل ؛ ورحم الصغير والضعيف . وأعطى كل ذي حق حقه ، متنزهاً عن الخيانة والتدليس ، والخداع والغش في البيع والشراء ،

---

(١) وزن . (٢) هي النملة الصغيرة .

(٣) روى الإمام أحمد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « الحياء من الإيمان ، والإيمان في الجنة ، والبذاء من الجفاء والجفاء في النار ، والبذاء هو السفاهة ، والفحش في الكلام .

(٤) رواه الترمذي .

متحلياً بفضيلة الأمانة والصدق والصراحة فى الأخذ والعطاء ، مستحياً(١) من الله أن يفقده حيث أمره أو يراه حيث نهاه ، وقد تفضل عليه بجزيل نعماه .

من كان حى الضمير — عرف لكل ذى فضل فضله ، فوقر الكبير ، وتواضع لمعلميه ، وفى الحديث النبوى الشريف (٢) : « تواضعوا لمن تعلمون منه » .

وإن صاحب الضمير الحى — يحيا حياة طيبة ، فى كرامة وإجلال ، ويفوز بحسن العاقبة فى سعادة وهناء وكمال .

انظروا — عباد الله إلى النعمان بن مقرن ، حين ولاه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب جمع الزكاة من أهل كسكر ، ورأى المال الكثير والدنيا العريضة تتزين له وتراوده ، فاستعصم ، ونأى عنها بجانبه ، وكتب إلى عمر يقول : : ياأمير المؤمنين ، إن مثلى ومثل كسكر مثل رجل شابه عنده(٣) مومس — مجاهرة بالفجور — تتلون له وتتعطر ، وإنى أنشدك الله — أسألك به متقسماً عليك — لما — إلا — عزلتنى عن كسكر ، وبعثتنى فى جيش من جيوش المسلمين . فأعجب عمر رضى الله عنه بهذا الضمير الحى ، الذى لا يريد لصاحبه أن يكتسب حراماً ، أو يقع فى فتنة المال ويغضب الكبير المتعال ، ورأى أن صاحب ذلك

---

(١) قال ابن القيم رحمه الله تعالى :

هب البعث لم تأتنا رسله ‏ ‏ ‏ وجاحمة النار لم تضرم

أليس من الواجب المستحق ‏ ‏ ‏ حياء العباد من المنعم

(٢) رواه الطبرانى .

(٣) يقال امرأة مومسة وامرأة مومس .

الضمير - جدير بنصر العلى الكبير، فكتب إليه : أن يسير إلى نهاوند من بلاد الفرس، وأن يكون أميراً لجيشها .

ولما وصل إليها — قال لجنده : سأهز الراية ثلاثاً :

أما الأولى : فليقض الرجل حاجاته، وليجدد وضوءه .

وأما الثانية : فلينظر الرجل شسع(١) نعله — مايثبت به النعل فى الرجل — ويرم — يصلح — سلاحه .

فإذا هززت الثالثة : فاحملوا، ثم قال : ولا يلوين أحد على أحد - لايقف أحد لأحد، ولا ينتظره — وإن قتل النعمان بن مقرن - يعنى نفسه — فلا يلوين أحد عليه، وإنى داع الله بدعوة، فأقسمت على كل امرىء منكم لما — إلا — أمن(٢) عليها .

« اللهم ارزق النعمان اليوم شهادة فى نصر وفتح على المسلمين » .

فتكهرب المعسكر بهذه الدعوة الرائعة، وارتجت جوانب الجيش بالتأمين عليها .

وكان النعمان أول قتيل فى المعركة، وفتح الله على المسلمين ونصرهم فى ذلك اليوم نصراً عزيزاً مؤزراً(٣) .

وهكذا صاحب الضمير الحى، النقى التقى، السليم أقوى مؤمن

---

(١) النعل شسوع تشد إلى زمامها، وهو خيط بين الأصبع الوسطى والتى تليها .

(٢) أى قال : آمين، أى اللهم استجب .　　(٣) قويا .

يسعى للخير ويسارع فيه ، ويعمل فى جد وتضحية لنيله ، وقد قال رسول الله ﷺ(١) : «لن يشبع المؤمن من (٢) خير حتى يكون منتهاه الجنة» .

أيها المسلمون :

لخير دنياكم وآخرتكم ، راقبوا ربكم فى سركم وجهركم ، واذكروا دائما أنه يرقبكم(٣) ، وان عليكم ملائكة(٤) يحصون أعمالكم ، واستيقظ ضمائركم ، وتستحيوا(٥) من ربكم ، وتسارعوا إلى الحسنات ، وتبعدوا عن السيئات ، وتذكروا قول من قال :

إن من يركب الفواحش سرا
حين يخلو بنفسه غير خال

---

(١) رواه الترمذى وابن حبان فى صحيحه .

(٢) فى رواية من خير يسمعه .

(٣) قال الله تعالى فى القرآن الكريم : (إن الله كان عليكم رقيبا) وقال شاعر يعظ :

إذا ما خلوت الدهر يوما فلا تقل خلوت ولكن قل على رقيب
ولا تحسبن الله يغفل ساعة ولا أن ما تخفيه عنه يغيب

(٤) قال الله تعالى : (وإن عليكم لحافظين . كراما كاتبين . يعلمون ما تفعلون) .

(٥) عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول صلى الله عليه وسلم : «استحيوا من الله حق الحياء» قلنا : إنا نستحى من الله يارسول الله والحمد لله ، قال : «ليس ذلك . . . الاستحياء من الله حق الحياء أن تحفظ الرأس وما وعى ، والبطن وما حوى ، وتذكر الموت والبلى ، ومن أراد الآخرة ترك زينة الحياة الدنيا . وآثر الآخرة على الأولى ، فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء» رواه الترمذى ، ورواه الطبرانى عن عائشة رضى الله عنها عن النبى صلى الله عليه وسلم .

كيف يخلو وعنده شاهداه
كاتباه وربه ذو الجلال

(واتقوا الله إن الله سميع عليم) .

روى الطبراني ، وأبو نعيم في الحلية ، عن عبادة بن الصامت - رضى الله عنه — أن رسول الله ﷺ قال : « أفضل الإيمان أن تعلم أن الله معك حيثما كنت » .

وروى الامام أحمد ، عن أبي أمامة رضى الله عنه : قال : سأل رجل النبي ﷺ : ما الاثم ؟ قال : (إذا حاك في نفسك شيء فدعه) قال : فما الإيمان ؟ قال (إذا ساءتك سيئتك وسرتك حسنتك فأنت مؤمن) .

وروى البزار ، عن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (ثلاث من كن فيه — استوجب الثواب ، واستكمل الإيمان : خلق يعيش به في الناس ، وورع يحجزه عن محارم الله ، وحلم يرد به جهل الجاهل) .

١٧ — بالإخلاص لله الفوز فى الحياتين

الحمد لله : لا يقبل من الأعمال إلا ما خلص له ، وقصد به رضاه ، وهو العلى الأكرم ، وأشهد أن لا إله إلا الله . لا ينظر(١) إلى أجسام الناس وصورهم وظواهرهم ، ولكن ينظر إلى قلوبهم ، ويتقبل إخلاصهم وصالح نياتهم ، وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله ، خير المخلصين ، القائل(٢) : « إنما ينصر الله هذه الأمة بضعيفها بدعوتهم وصلاتهم وإخلاصهم » ، اللهم صل وسلم على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه الذين أخلصوا لله دينهم ، وتمحضت له وحده أعمالهم ، فعاشوا كرماء وفارقوا الحياة سعداء : (أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون) .

أما بعد ، فقد قال الله تعالى : (قل إنى أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين) . ومعنى إخلاص الدين لله : ألا يراد بطاعته إلا وجهه سبحانه وتعالى ورضاه .

---

(١) روى مسلم فى صحيحه عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن الله لا ينظر إلى أجسامكم ولا إلى صوركم ، ولكن ينظر إلى قلوبكم » ، والقلوب محل النيات ، التى تقوم بها الأعمال وتقوم وتقدر .

(٢) رواه النسائى وغيره عن مصعب بن سعد بن أبى وقاص عن أبيه رضى الله عنه أنه ظن أن له فضلا على من دونه من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال النبى صلى الله عليه وسلم ذلك الحديث الشريف .

أيها المسلمون :

الإخلاص لله روح العبادة : به يقبلها ، وتثمر ثمرتها ، فيفوز العابد بالسعادة ، ويسعد بالمثوبة الحسنى وزيادة(١)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم(٢) : « من فارق الدنيا على الإخلاص لله وحده لا شريك له ، وأقام الصلاة ، وآتى الزكاة، فارقها والله عنه راض » .

وما أعظم الإخلاص ، وما أكثر بركته : إنه يخالط القليل من العمل ، فينميه حتى يزن الجبل : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم(٣) : (أخلص دينك يكفك العمل القليل) .

ومن قصد بعمله وجه الناس ، وغفل عن وجه ربه ، فقد انصرف عن الغنى القوى ذى الجلال والإكرام ، إلى الضعاف الفقراء ، الذين لا حول لهم ، ولا قوة : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم(٤) : « إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر ، قالوا : وما الشرك الأصغر يا رسول الله ؟ قال : الرياء ، يقول الله عز وجل ، إذا جزى الناس

---

(١) أى زيادة على المثوبة الحسنى : تأمل قوله تعالى : (إن الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية يرجون تجارة لن تبور ليوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله إنه غفور شكور) أى ويزيدهم تبارك وتعالى من فضله على أجور أعمالهم .

(٢) رواه ابن ماجه .

(٣) رواه الحاكم .

(٤) رواه الإمام احمد .

بأعمالهم : اذهبوا إلى الذين كنتم تراءون فى الدنيا ، فانظروا ، هل تجدون عندهم جزاء » .

وقال عليه الصلاة والسلام(١) : « إذا جمع الله الأولين والآخرين ليوم القيامة ، ليوم لا ريب فيه ، نادى مناد : من كان أشرك فى عمله لله أحداً فليطلب ثوابه من عنده ، فإن الله أغنى الشركاء عن الشرك » .

فالمراءون الذين[٢] يقصدون بعمل الخير رؤية الناس لهم ومدحهم إياهم ، وثناءهم عليهم — عاقبتهم شر ، وحرمان وخيبة وخسران : (فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحداً) .

وكفى بالرياء قبحا وذما أنه يخالف العمل الصالح ، فيجعله معصية[٣] تجلب الويل والعذاب ، وأنه مهما قل — شرك بالله رب العالمين : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم(٤) : « اليسير من الرياء شرك ومن عادى أولياء الله فقد بارز الله بالمحاربة إن الله يحب الأبرار

---

(١) رواه الترمذى .

(٢) أما من لم يقصد بعمل الخير ثناء الناس ، بل يقصد وجه الله تعالى ولكن الناس يثنون عليه ، فليس بمراء ، وثناء الناس بشرى له بالقبول : من عليه بها الله الذى وجه القلوب لتقدير عمله ، لعل فى ذلك — زيادة نشاطه فى عمل الخير .

(٣) انظر الى آيات التحذير من الرياء المشتملة على ذمه ، كقوله تعالى:[فويل للمصلين • الذين هم عن صلاتهم ساهون . الذين هم يراءون) .

(٤) رواه ابن ماجه والحاكم .

الأتقياء الأخفياء الذين إن غابوا لم يفتقدوا وإن حضروا لم يعرفوا، قلوبهم مصابيح الهدى ، يخرجون من كل غبراء(١) مظلمة » .

فالمخلصون الذين لا يريدون على العبادة جزاء إلا من الله — هم الفائزون ، ومن الفتن والشدائد ناجون : (ومن يتق الله يجعل له مخرجا) .

وكفى بالإخلاص لله شرفا وحسنا ومدحا أنه يرفع منزلة العمل الدنيوى ، فيجعله عبادة متقبلة ، ويحول اللذاذات التى تشتهيها النفوس إلى قربات . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم(٢) : « من بنى بنيانا فى غير ظلم ولا اعتداء ، أو غرس غرساً(٣) فى غير ظلم ولا اعتداء ـ كان له أجراً جاريا ، ما انتفع به من خلق الرحمن تبارك وتعالى » .

وقال صلوات الله وسلامه عليه(٤) : « ما من مسلم يغرس غرساً، أو يزرع زرعا ، فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلا كان له به صدقة » .

وعن سعد بن أبى وقاص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له(٥) : (إنك لن تنفق نفقة تبتغى بها وجه الله إلا أجرت عليها حتى

---

(١) الغبراء : الأرض . والمراد أنهم ينجون من مواطن الفتن والشدائد.

(٢) رواه الإمام أحمد .

(٣) شجراً.

(٤) رواه البخارى .

(٥) رواه البخارى .

ما تجعله فى فم امرأتك)،

وقال صلى الله عليه وسلم(١) : « ما أطعمت نفسك فهو لك صدقة، وما أطعمت ولدك فهو لك صدقة ، وما أطعمت زوجتك فهو لك صدقة، وما أطعمت خادمك فهو لك صدقة »

وفى أجر الرجل لمواقعة امرأته يريد حفظ العفاف ، وصون الدين — قال صلى الله عليه وسلم(٢) : « وفى بضع أحدكم صدقة » .

يا قوم :

من أخلص أعماله لله ، وكانت نيته صالحة ، فإن حركاته وسكناته، ونوماته ويقظـاته — تحتسب خطوات إلى مرضاة الله ، وتأملوا

---

(١) رواه الإمام أحمد .

(٢) روى مسلم فى صحيحه عن أبى ذر رضى الله عنه أن ناسا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا للنبى صلى الله عليـه وسلم يا رسول الله : ذهب أهل الدثور بالأجور ، يصلون كما نصلى ، ويصومون كما نصوم، ويتصدقون بفضول أموالهم ، قال: (أو ليس قد جعل الله لكم ما تصدقون إن بكل تسبيحة صدقة ، وكل تكبيرة صدقة ، وكل تحميدة صدقة ، وكل تهليلة صـدقة . وأمر بالمعروف صدقة ، ونهى عن منكر صدقة ، وفى بضع أحـدكم صدقة) ، قالوا : يا رسول الله ، يأتى أحدنا شهوته ويكون له فيهـا أجر ، قال : أرأيتم لو وضعها فى حرام ، أكان عليه وزر ، فكذلك إذا وضعهـا فى الحـلال كان له أجر » والدثور : الأموال الكثيرة ، والتسبيحة : قول سبحان الله ، والتكبيرة : قول الله أكبر ، والكلام على حذف مضاف ، أى وفى وطء بضع أحدكم صدقة وإنما يكون للزوج صدقة فى ذلك بالإخـلاص ومقارنة النية الصالحة كأن يكون قصد إعفاف نفسه أو زوجته عن الزنا أو مقدماته أو قصد حصول ولد يوحد الله تعالى أو يكثر به المسلمون أو يؤجر به اذا مات فصبر على فقده

قول رسول الله صلى الله عليه وسلم(١) : « من أتى فراشه ، وهو ينوى أن يقوم يصلى من الليل ، فغلبته عينه ، حتى أصبح — كتب له مانوى، وكان نومه صدقة عليه من ربه » .

وتدبروا قوله عليه الصلاة والسلام(٢) : « من سأل الله تعالى الشهادة بصدق بلغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه » .

وقد يعجز المرء عن عمل الخير ، لقلة ماله ، أو ضعف صحته ، ولكن الله العليم الخبير ، الذى لا يخفى عليه إخلاصه له وصدق نيته ، وحرصه على الإصلاح ، وحب الخير والرغبة فيه — يرفعه إلى مرتبة العاملين المصلحين لأن علو همته ، وعظم قصده — أرجح لديه سبحانه وتعالى من عجز وسائله .

تقدم رجال إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يريدون أن يخرجوا معه فى غزوة العسرة ، لقتال الكفار ، غير أن الرسول لم يستطع تجهيزهم ، فرجعوا إلى منازلهم وهم يبكون ، لتخلفهم عن الميدان ، فقال صلى الله عليه وسلم الجيش عند عودته من هذه الغزوة تقديراً لإخلاصهم(٣) : « إن أقواما خلفنا(٤) ، بالمدينة ، ما سلكنا شعبا(٥)

---

(١) رواه ابن ماجه والنسائى وابن حبان فى صحيحه .

(٢) رواه مسلم .

(٣) رواه البخارى .

(٤) أى وراءنا وقال الحافظ ابن حجر وضبطه بضم بتشديد اللام وسكون الفاء .

(٥) أى طريقا فى الجبل .

ولا واديا(١) إلا وهم معنا : حبسهم العذر » .

وإن الإخلاص فى تعلم [٢] العلم وتعليمه لله — لتحقيق المنفعة للوطن والأمة — يكسب رضاه جل علاه ، وإخلاص الجهاد فى سبيل الله لمجد الوطن وعز الدين — أسهل التضحية ، ويطيب الفداء . وينال المجاهد خير الجزاء .

وإخلاص العمل لله ، يبعث على النشاط فيه ، وعلى إحسانه ، وإن قل تقدير الناس له ، وفى ذلك سعادة العباد والبلاد .

أيها المسلمون :

أخلصوا أعمالكم لله ، واقصدوا بها رضاه — تفوزوا فى دنياه وأخراه (وأقيموا [٣] وجوهكم عند كل مسجد وادعوه مخلصين له الدين) .

---

(١) الوادى : كل منفرج بين جبال أو آكام يكون منفذاً للسيل . والآكام جمع أكم كعنق . وهو جمع إكام ككتاب . وإكام جمع أكم كجبل . وهذا جمع أكمة كقصبة . والأكمة : التل . وقيل شرفة كالرابية . وهو ما اجتمع من الحجارة فى مكان واحد . وربما غلظ . وربما لم يغلظ .

(٢) روى أبو داود عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من تعلم علماً مما يبتغى به وجه الله تعالى . لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضاً من الدنيا . لم يجد عرف الجنة يوم القيامة » والعرض أى متاعاً . وعرف الجنة يعنى ريحها . وروى الترمذى عن ابن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « من طلب العلم ليباهى به العلماء ويمارى به السفهاء أو ليصرف به وجوه الناس إليه فهو فى النار » وليباهى : أى ليفاخر ويمارى به السفهاء أى يجادل به ضعفاء العقول . أو ليصرف به وجوه الناس إليه [أى ليجعل الناس العوام ناظرين] إليه اذا تكلم متعجبين من كلامه مجتمعين حوله خادمين له

[٣] توجهوا الى عبادته مستقيمين غير عادلين إلى غيره ١١

روى أبو داود والنسائى أن أبا أمامة رضى الله عنه قال : جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقـــال : أرأيت رجلا غزاء يلتمس الأجر والذكر ، ماله ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا شىء له » فأعادها ثلاث مرار ، ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا شىء له » ثم قال صلى الله عليه وسلم : « إن الله عز وجل لا يقبل من العمل إلا ما كان له خالصا وابتغى به وجهه » .

١٨ – عناية الإسلام بقوة الأبدان ورياضتها

الحمد لله : واهب المنن ، وأشهد أن لا إله إلا الله يحب المؤمن قوى الروح والبدن ، وأشهد أن سيدنا محمداً ، رسول الله ، دعا إلى تقوية الأجسام ، وسعادة الأنام ، اللهم صل وسلم على سيدنا محمد ، وعلى آله وأصحابه ، الذين تمسكوا بالإسلام ، فقويت أرواحهم وأبدانهم ، واستطاعوا نشر الحق بين الخلق (وأولئك هم الفائزون) .

أما بعد فلابد لتحقيق العمل من القوة ، وعلى قدرها يكون النفع والإنتاج ، لذلك كان المؤمن القوى — لنفعه وكثرة إنتاجه — خيراً من المؤمن الضعيف ، وقال الله تبارك وتعالى : (يا يحيى خذ الكتاب (١) بقوة).

ووصف سبحانه وتعالى جبريل عليه السلام فقال : (علمه (٢) شديد القوى (٣) ، وقد طلبت إحدى ابنتى الشيخ الكبير أن يستأجر موسى ، لرعى الغنم ، لقوته وأمانته ، قال تعالى : (قالت إحداهما ياأبت استأجره إن خير من استأجرت القوى الأمين) ، وقد جاء القرآن بتمجيد القوة البدنية ، مع تمجيد القوة العلمية ، وذكر أنهما يؤهلان لولاية الملك . قال تعالى : (وقال لهم (٤) نبيهم إن الله قد بعث لكم طالوت ملكاً

---

(١) التوراة .

(٢) أى علم الرسول صلى الله عليه وسلم .

(٣) هو جبريل عليه السلام : روى أنه قلع قرى قوم لوط ورفعها إلى السماء ثم قلبها : قال تعالى : (جعلنا عاليها سافلها).

(٤) للملأ من بنى إسرائيل من بعد وفاة موسى ، وتفيد ذلك الآية التى قبل هذه .

قالوا أنى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال قال إن الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة فى العلم والجسم والله يؤتى ملكه من يشاء والله واسع عليم) .

وفى العبادات التى جاء بها الإسلام ، مع الرياضة الروحية ، رياضة بدنية : تكسب الأبدان قوة ، ففى حركات الصلاة المنتظمة ، من قيام وقعود ، وركوع وسجود ، وقراءة وذكر - بعث للنشاط فى الجسم ، وتقوية لأجهزة البدن ، والصوم يريح الجهاز الهضمى ، وينقيه ويقويه ، وفى الزكاة سلامة الأجسام من الهزال ، الذى يسببه حقد الفقير على الغنى ، ومع الغنى من إيذاء الفقير له ، وأعمال الحج من الطواف بالكعبة والسعى بين الصفا والمروة ، والوقوف بعرفة ، ورمى الجمار — رياضة بدنية .

وقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يدرب الشباب على الرماية بالقوس والنبل ، وعلى الجرى والمبارزة وركوب الخيل ، ومر صلى الله عليه وسلم على نفر(١) ينتضلون — يتراموان بالسهام للسبق — فقال : « ارموا بنى إسماعيل فإن أباكم كان راميا »(٢) وقال صلى الله عليه وسلم « كل ما يلهو به المرء المسلم باطل ، إلا رميه بقوسه ، وتأديب فرسه ، وملاعبة أهله »(٣) .

وقالت عائشة رضى الله عنها(٤) : كنت مع النبى صلى الله عليه وسلم فى سفر فسابقته ، فسبقته على رجلى ، فلما حملت اللحم سابقته ، فسبقنى ،

(١) جماعة الرجال من ثلاثة إلى عشرة .
(٢) رواه البخارى .   (٣) رواه الإمام أحمد .
(٤) رواه أبو داود .

فقال : هذه بتلك السبقة . وصارع صلى الله عليه وسلم ركانة رضى الله عنه ، وكان مشهوراً بين العرب بالمصارعة ، فصرعه .

وحث صلى الله عليه وسلم على الرماية بجميع أنواعها ، ماعرف منها فى زمنه ، وما عرف(١) بعد : قال عقبة بن عامر الجهنى رضى الله عنه : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو على المنبر يقول(٢) : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ، ألا إن القوة الرمى ، ألا إن القوة الرمى ، ألا إن القوة الرمى » .

وحذر صلى الله عليه وسلم من ترك الرماية وإهمالها فقال : « من علم الرمى ثم تركه فليس منا أو فقد عصى »(٣) .

وبلغ من عناية الإسلام بالرياضة البدنية — أنه أقر أن يكون من ميادينها المسجد ، وهو خير بقاع الأرض ، إذا كانت تدريباً على أساليب الفروسية ، استعداداً لقتال المعتدين : قالت عائشة رضى الله عنها (٤) (لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً فى باب حجرتى والحبشة يلعبون فى المسجد ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يسترنى بردائه أنظر إلى لعبهم وكان يوم عيد يلعب فيه السودان بالدرق(٥) والحراب ، فإما سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإما قال : أتشتهين تنظرين ؟ قلت : نعم ، فأقامنى وراءه ، وهو يقول : دونكم يابنى أرفدة(٦) ، حتى

---

(١) كرى الرصاص بالبندقية وبالمسدس ، والقنابل بالمدافع والطوربيدات بالطائرات ، وما إلى ذلك (ويخلق مالا تعلمون) .

(٢) رواه مسلم (٣) رواه مسلم .

(٤) رواه البخارى .

(٥) التروس التى يتقى بها المحارب ضربات محاربه .

(٦) جنس من الحبشة .

إذا ملت، قال : حسبك(١) ؟ قالت نعم، قال : فاذهبي) .

أيها المسلمون :

إن دينكم يعنى بالرياضة البدنية، وتقوية الأجسام لأداء العبادة في حسن حال، وللاستعداد للجهاد في سبيل الله، ولنصرة الوطن وحمايته. فانتبهوا لذلك، واعملوا على قوة أرواحكم وأبدانكم، وحببوا إلى الشباب الرياضة البدنية لتقوى أبدانهم، واغرسوا في نفوسهم مكارم الأخلاق لتسمو أرواحهم وتصلح أعمالهم، ويعز الوطن بهم (وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون) .

روى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير، احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل : لو أني فعلت كذا كان كذا وكذا، ولكن قل قدر الله، وما شاء الله فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان) .

وروى الحاكم، عن بريدة : رضى الله عنه — أن رسول الله صلى الله عليه وسلم — قال : (قل اللهم إني ضعيف فقوني، وإني ذليل فأعزني، وإني فقير فارزقني) .

---

(١) أى كافيك ؟ والكلام على حذف همزة الاستفهام، أى أحسبك يعني أكافيك .

١٩ – التواصي بالحق

الحمد لله: الملك الحق المبين، وأشهد أن لا إله إلا الله: يحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون، وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله، جاء بالحق لسعادة الخلق، اللهم صل وسلم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه، الذين تواصوا بالحق ففازوا وأفلحوا.

أما بعد: فقد قال الله تعالى: (والعصر. إن الإنسان لفي خسر. إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر).

أقسم الله بالزمان، على أن كل إنسان في خسران، إلا من اتصف بالإيمان، والعمل الصالح، والتواصي بالحق، والتواصي بالصبر، فإنه يكون رابحاً في دنياه وأخراه، والحق هو الشيء الثابت الذي فيه خير المجتمع، وسعادة الناس في الحياة الدنيا وفي الدار الآخرة.

أيها المسلم:

ومن الحق أن يعرف الإنسان ربه، ويخلص العبادة له، ويؤمن بالقرآن، ويتلوه، ويهتدي به، ويؤمن بالرسول صلى الله عليه وسلم، وبكل ما جاء به ويتبعه، ويقوت نفسه، ويحميها من كل مضرة، ويتعلم ما يجب عليه تعلمه، ويعمل بما علم، وينفق على زوجه، ويعلمها ما يجب عليها من أمور دينها، ويحفظها من الفساد، ويعاشرها بمعروف أو يفارقها بإحسان، ويقصر طرفه عليها محافظاً على عفافها، ويربي أولاده، ويعلمهم ما يجب عليهم، ويكون لهم أسوة حسنة، ويقوم بكفايتهم حتى يستغنوا بكسبهم، ويلاحظ مصالحهم، ويطيع ولاة الأمر في غير محرم، ويرفق بالحيوان الأعجم، ويهتم بأمر المسلمين، فيحب

لهم ما يحب لنفسه ، ويكره لهم ما يكره لها ، ويرشدهم إلى ما فيه صلاحهم دنيا وأخرى .

وما تمسك إنسان بالحق إلا كان السعد حليفه ، والعز أليفه ورضا الله أنيسه ، والكمال لباسه ، والنصر من من الله عليه ، وعاش محبوباً عزيزاً ونال فى أخراه أجراً عظيماً .

وإن المجتمع الذى يستمسك أفراده بالحق ـ هو أرقى المجتمعات ، وأسعدها بالبركات والحسنات .

لذلك كان التواصى بالحق — عملا صالحاً ، ووسيلة إلى خير غاية ، وفضيلة بها الثناء والثواب ، ومن آيات الربح فى الدنيا والآخرة .

فليوص كل مسلم أخاه باتباع الحق ، فى قوله وفعله ، وبيعه وشرائه ، وحبه وبغضه ، وغناه وفقره ، وسلمه وحربه ، وسائر أحواله وليحذر المسلم أن يوصى أخاه باتباع الحق وهو تارك له : فإن الله تعالى يقول : (يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون . كبر مقتاً عند الله أن تقولوا مالا تفعلون) .

أيها المسلمون :

تواصوا بالحق فيما بينكم ، ولا تكونوا من الخاسرين ، فلا تشاركوا الظالمين ، ولا تعظموا المفسدين وتمسكوا بالحق فى سركم وجهركم — تسلموا وتغنموا (والله يعلم ما تسرون وما تعلنون) .

روى ابن حبان فى صحيحه عن أبى ذر الغفارى رضى الله عنه قال :

«أوصانى خليلى — صلى الله عليه وسلم — بخصال من الخير : أوصانى ألا أخاف فى الله لومة لائم ، وأوصانى أن أقول الحق وإن كان مراً » .

وروى البخارى ومسلم فى صحيحيهما ، عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه : قال : (بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة ، فى العسر واليسر والمنشط والمكرة ، وعلى أثرة(١) علينا ، وألا ننازع الأمر أهله ، إلا أن تروا كفراً بواحاً . عندكم من الله فيه برهان ، وعلى أن نقول بالحق أينما كنا . لا نخاف فى الله لومة لائم) .

(١) من الاستئثار بالشىء : أى الاستبداد به .

٢٠ — النصيحة

الحمد لله : أرسل رسله ناصحين لخلقه ، وأشهد أن لا إله إلا الله : يحب من نصح لغيره ، وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله ، خير من نصح ، وهدى إلى صراط مستقيم . اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الذين نصحوا ابتغاء مرضاة الله ، ففازوا بحبه ورضاه.

أما بعد : فقد قال الله تعالى مخبراً عما قاله نوح عليه السلام لقومه: (أبلغكم رسالات(١) ربى وأنصح لكم) .

أيها المسلمون .

النصيحة والدلالة على طريق الرشد — سنة الأنبياء ، وأهل الإخلاص والوفاء : يدعو إلى إسدائها الدين ، وتوجبها الأخوة بين المسلمين . فعلى المسلم أن ينصح لأخيه المسلم ، ويرشده إلى ما فيه الخير والسداد ، والعز والإسعاد ، ويحذره من العصيان والشر والضر والفساد ، ويدعوه بالحكمة والموعظة الحسنة إلى المتاب ، وإلى طاعة العزيز الوهاب ، وأن يدله على مصلحته ، في بيعه وشرائه ، وزواجه وسائر شئونه .

لينصح المسلم لأخيه — ليجانب الفحشاء والظلم ، وليحرص على مجالس العلم ، ولينصر المظلوم ، وليحسن في المعاملة ، وليختار الأصدقاء من ذوى الخلق العظيم والسيرة الحسنة ، وليراعى حق الجوار ،

(١) جمع رسالة ؛ وجمعها لاختلاف أوقاتها ؛ أو لتنوع معانيها ؛ كالعقائد والمواعظ والأحكام ؛ أو لأن المراد ما أوحى إليه وإلى الأنبياء قبله كصحف إدريس عليه السلام .

وليستمسك بالدين ، ويرضو رب العالمين .

ولينصح المسلم لأبيه ـ ليتبع الحق والصواب ، ويبعد عن الضلال في رفق وحسن وأدب ، كما نصح خليل الرحمن لأبيه : قال تعالى : (واذكر في الكتاب إبراهيم إنه كان صديقاً نبياً . إذ قال لأبيه يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئاً)(١) .

ولينصح المسلم لأهله ، حاثاً لهم على الصلاة والزكاة ، كما فعل إسماعيل عليه السلام : قال تعالى : (واذكر في الكتاب إسماعيل إنه كان صادق الوعد وكان رسولا نبياً . وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضياً) .

ولينصح الوالد لأبنائه ـ ليكون منهم الرجال الكرام ، الذين يصلحون في الأرض ولا يفسدون ، لينصح لهم بما نصح به الإمام علي كرم الله وجهه لولده الحسن . قال له(٢) : « يا بني اجعل نفسك ميزاناً فيما بينك وبين غيرك ، فأحب لغيرك ما تحب لنفسك ، واكره له ما تكره لها ، ولا تظلم كما لا تحب أن تظلم ، وأحسن كما تحب أن يحسن إليك ، واستقبح من نفسك ما تستقبح من غيرك ، وارض من الناس ما ترضاه لهم من نفسك ، ولا تقل ما لا تعلم وإن قل ما تعلم ، ولا تقل ما لا تحب أن يقال لك ، ولا تكن عبد غيرك وقد جعلك الله

(١) من تدبر الآيات في نصيحة الخليل لأبيه ـ هاتين الآيتين وما بعدهما في سورة مريم ـ تبين له رفق الخليل في نصحه لأبيه ، وحسن أدبه وفي الآيات عقب النصيحة ؛ ما يدل على الفظاظة من أبيه ؛ وأنه ظل عليه السلام على حسن الأدب معه حتى فارقه .

(٢) قال سيدنا علي لولده الحسن رضي الله عنهما ذلك النصح من وصية طويلة : ورد في نهج البلاغة كثير منها ؛ فالمذكور هنا بعض من كل .

حرا ، وحفظ (١) ما في يديك أحب إلى من طلب ما في يد غيرك ، والحرفة مع العفة خير من الغنى مع الفجور ، والمرء (٢) أحفظ لسره ، وظلم الضعيف أفحش الظلم ، وإياك والاتكال (٣) على المنى فإنها بضائع الموتى » .

ولينصح الأبوان البنات ، ليكن فضليات ، وقد قال الحكيم العربي — أسماء بن خارجة الفزارى (٤) — لابنته عند زفافها : « إنك خرجت من العش الذى فيه درجت ، وصرت إلى فراش لا تعرفينه ، وقرين لا تألفينه ، فكونى له أرضاً (٥) يكن لك سماء (٦) ، وكونى له مهادا (٧) يكن لك عماداً (٨) وكونى له أمة يكن لك عبداً ، ولا تلحفى به — ولا تلحى عليه فى شيء — فيقلاك (٩) ، ولا تباعدى عنه فينساك ، واحفظى أنفه وسمعه وعينه فلا يشم منك إلا طيباً ، ولا يسمع إلا حسناً ولا ينظر إلا جميلا » .

---

(١) إرشاد للاقتصاد فى المال .

(٢) فالأولى عدم إباحته لشخص آخر وإلا فشا .

(٣) المنى : جمع منية بضم فسكون . ما يتمناه الشخص لنفسه ويعلل نفسه باحتمال الوصول إليه وهى بضائع الموتى ؛ لأن المتجر بها يموت ولا يصل الى شيء ؛ فإن تمنيت فاعمل لأمنيتك ؛ وفى رواية : فإنها بضائع النوكى أى الحمقى .

(٤) روى صاحب القوت ؛ والبيهقى فى الشعب ؛ وصية أسماء لابنته والمذكور هنا بعضها .

(٥) أى مطيعة أو ذليلة منقادة أو هينة .

(٦) يظل عليك برأفته ورفقته أو يمطر عليك بإحسانه ونعمه .

(٧) فراشاً (٨) تستندين إليه .

(٩) فيبغضك .

والسعيد الموفق للخيرات - يقبل النصيحة ، وينتفع بها فيفلح ، ويغنم الخير ، وينجوا من الشر .

يها المسلم :

انصح لغيرك بفعل الخير ، وترك الشر ، وأنت للخير فاعل ، والشر تارك ، بلا جرح لشعوره ، وبغير خدش لكرامته ، ليقبل نصحك ، ويستجيب لك ، وبذلك تكون مساهماً فى بناء مجتمع عظيم سليم ، وتفوز من ربك بالأجر العظيم .

روى البخارى ومسلم عن جرير بن عبد الله رضى الله عنه قال : « بايعت رسول الله ﷺ على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة والنصح لكل مسلم » .

٢١ — عاقبة المكر السيء

الحمد لله : يجزى على الخير خيراً ، وعلى الشر شراً ، وأشهد أن لا إله إلا الله ، يعلم السر وأخفى ، وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله ، الحبيب المصطفى ، اللهم صل وسلم على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه ، الذين اجتنبوا المكر والخداع ، فعاشوا فى صفاء ، وقدرهم فى ارتفاع ، وللدار الآخرة خير ولنعم دار المتقين » .

أما بعد : فقد قال الله تعالى : (ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله).

أيها المسلم:

من تنبه لذلك الصدق ، قول الله الحق ، وهو سعيد بالعقل — انصرف عن المنكر السيء والاحتيال لسلب مال ، أو إزهاق روح ، أو هتك عرض ، ونحو ذلك مما هو إيذاء للناس ، فإنه لا يرضى لنفسه السوء عاقل ، ولا يسعى فى ضر نفسه إلا الغافل .

ويا من يمكر المكر السيء ، ليضر غيره : أأمنت مكر الله وتدبيره الخفى ، ألم تعلم بأن الله يراك ، ويعلم سرك ونجواك ، وبعدله يوقعك فى السوء الذى أردته لسواك (أفأمن الذين مكروا السيئات أن يخسف الله بهم الأرض أو يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون) .

أهل المكر السيء مجرمون ، مفسدون مخادعون ، يظهرون للناس الأمان ، ويضمرون لهم العدوان ، إنهم جبناء منافقون ، قصار النظر غادرون ، يهابون الناس ولا يخافون رب العالمين (أفأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون) .

ليعلم أولئك الأشقياء المغرورون ، الغافلون عن إحاطة الله بتدبيره — أن الله لهم بالمرصاد ، وأنه لا ينفذ غير ما قدره سبحانه وتعالى ، وأنه أعد لهم العذاب الأليم (والذين يمكرون السيئات لهم عذاب شديد ومكر أولئك هو يبور) ، وأين مكر الإنسان من مكر الله ، الذى لا يخفى عليه شىء فى الأرض ولا فى السماء ، وهو على كل شىء قدير ؟ : لقد اتفق جماعة من ثمود على اغتيال رسول الله صالح وأهله ، فأهلكهم الله وأنجى صالحا وأهله . وقال فى القرآن الكريم (ومكروا مكراً ومكرنا مكراً وهم لا يشعرون . فانظر كيف كان عاقبة مكرهم أنا دمرناهم وقومهم أجمعين . فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا إن فى ذلك لآية لقوم يعلمون) .

أيها المسلم :

واقبه سبحانه ، ولا تأمن مكره ، واحذر أن تحتال لمضرة أحد، أو تخدع أحداً لسلب خيره ، واذكر فى سرك وجهرك أن الله الرقيب عليك — بصير قدير — ولا تغتر بإحسانه ، وأنت ملازم عصيانه (إن الله عزيز ذو انتقام) .

روى الطبرانى فى الكبير والصغير عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من غشنا فليس منا ، والمكر والخداع فى النار » .

٢٢ — المسلم الصادق

الحمد لله : هدى بالإسلام إلى الهناء والسلام ، وأشهد أن لا إله إلا الله ، اختار لعباده الإسلام دينا ، ليعيشوا فى خير وإكرام ، وأشهد أن سيدنا محمدا رسول الله ، خير الأنام ، اللهم صل وسلم على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه المسلمين الصادقين (أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب) .

أما بعد : فقد قال تعالى : (ومن يسلم وجهه إلى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى وإلى الله عاقبة الأمور) ، أى ومن يستسلم(١) إلى الله تعالى وهو محسن فى جميع ما يقول ويعمل — فقد تمسك من حبل الله بأوثق عراه ، وحبل الله هو الإسلام أو القرآن ، وإلى الله عاقبة الأمور ، فإنه مرجعها والمتصرف فيها .

أيها الناس :

ليس كل من ادعى الإسلام صادقا ، حتى تشهد بصدقه أقواله السديدة ، وأعماله الصالحة الجيدة . وصفاته الحميدة ، وقد قال رسول

---

(١) من الاستسلام أى الانقياد .

الله صلى الله عليه وسلم(١) : « المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده » .

فالمسلم الصادق لا يدعو إلى حرام أو منكر أو شر أو باطل ، ولا يصد عن معروف وحق وخير وحلال ، ولا يكذب إذا تكلم ، ولا يفتي بغير علم (ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى إلى الإسلام والله لا يهدى القوم الظالمين) .

والمسلم الصادق ليس بلعان ولا سباب ، ولا طعان في الأعراض ولا مغتاب ، ولا واش بالأبرياء عند الحكام ، ولا نمام يفسد بين الناس بنقل الكلام ، ولا قاتل ولا زان ولا غاصب ، ولا ظالم ولا غاش ولا مضلل ولا ناهب .

والمسلم الصادق لا يتهاون في واجب ، ولا يشرب خمراً ، ولا يجلس(٢) على مائدة يشرب عليها الخمر ، ولا يتعاطى مخدراً ، ولا يلعب قماراً ،

---

(١) روى البخاري ومسلم في صحيحيهما ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه » ، وفي ذلك القول الكريم — إفادة أن المسلم الصادق في إسلامه — لا يؤذى مسلماً بقول ولا فعل ؛ وخص اليد بالذكر دون بقية أعضاء الفعل ، لأن معظم الأفعال بها ؛ والحث على التخلق بالصفات الحميدة والتباعد من الصفات الذميمة . والحديث يتناول الإناث ، كما هو الأمر في سائر النصوص والمخاطبات ، فالمسلم الصادق من سلم المسلمون والمسلمات من لسانه ويده ؛ والمسلمة الصادقة من سلم المسلمون والمسلمات من لسانها ويدها ، وكذلك من هجرت ما نهى الله عنه تكون مهاجرة .

(٢) روى الطبراني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يشرب الخمر ؛ ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يجلس على مائدة يشرب عليها الخمر » .

ويحفظ لسانه من لغو الكلام، وقد قال الرسول عليه الصلاة والسلام(١): «من حسن إسلام المرء تركه مالا يعنيه».

المسلم الصادق يذكر الله ذكراً كثيراً، ولسانه حلو بما يصدر عنه من خير لبنى الإنسان، ويده كريمة، بما يبذل من عطاء، وما يعمل بها لحسن الجزاء، فهو يقرأ السلام على من عرف ومن لم يعرف، ويوصى غيره بالحق وبالصبر، ويطعم الطعام.

إن المسلم الصادق — يستعمل أعضاءه فيما يرضى الله، ويكفها عما يغضبه جل علاه، ويغيث الملهوف، ويعين الضعيف، ويحكم بالعدل، ويصلح بين الناس، فهو ملك كريم، فى صورة إنسان رحيم، محسن حليم.

ومن علامات المسلم الصادق(٢) — قوة فى دين، وحزم فى لين، وإيمان فى يقين، وعلم فى حلم، وكيس(٣) — عقل — فى رفق، وأعطاء فى حق، وقصد فى غنى، وإحسان فى قدرة، وصبر فى شدة، لا يغلبه الغضب، ولا تغلبه شهوة، ولا يفضحه بطنه، لا يبخل ولا يبذر، ولا يسرف ولا يقتر، يغفر إذا ظلم، ويعفو عن الجاهل، نفسه منه فى عنا، والناس منه فى رخاء.

---

(١) رواه الترمذى

(٢) علامات المسلم المذكورة من قول الحسن البصرى رضى الله عنه.

(٣) الكيس: العقل قاله ابن الأعرابى.

أيها العاقل :

كن مسلما صادقا، محسنا فى قولك وعملك، وخلقك ومعاملتك — تنل خير دنياك وثواب أخراك، وتعش سالما والقول فيك جميل، وتفز بأطيب التحيات فى جنات النعيم .

روى البخارى ومسلم والترمذى والنسائى عن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه قال : قلت : يارسول الله، أى المسلمين أفضل ؟ قال : « من سلم المسلمون من لسانه ويده » .

وروى الطبرانى فى الكبير، عن حبيب بن خراش رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « المسلمون إخوة لافضل لأحد على أحد إلا بالتقوى » .

وروى البخارى ومسلم ، عن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ومن كان فى حاجة أخيه كان الله فى حاجته » .

٣٣ — الحث على الشجاعة والتحذير من الجبن

الحمد لله : منح رسله الشجاعة ، فلم يخشوا فى تبليغ الرسالة أحداً سواه ، وأشهد أن لا إله إلا الله : القاهر ذو القوة المتين ، وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله ، أشجع الناس المهيب الرحيم ، اللهم صل وسلم على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه ، السادة الشجعان ، الذين أقاموا الإسلام شامخ البنيان .

أما بعد : فقد قال الله تعالى : (فلا تهنوا وتدعوا إلى السلم وأنتم الأعلون والله معكم ولن يتركم أعمالكم) .

فى ذلك القول الكريم — يحذر الله تعالى عباده المؤمنين من الجبن وضعف القلوب ، وفى ذلك حثهم على الشجاعة وتقوية قلوبهم ، ومن الجبن الذى حذروا منه — دعوتهم أعداءهم إلى المسالمة والصلح — تذللا وضعفاً — لذلك نهوا عن تلك الدعوة ، وقوله تعالى : (وأنتم الأعلون والله معكم) أى ناصركم — باعث قوى المؤمنين على الشجاعة وتقوية القلوب ، وعلى اجتناب الجبن والذل والضعف ، فيقتضى أنهم الأعلون — بالإيمان ألا يرضوا الضعف والهوان ، وإذا كان الله معهم فلا غالب لهم (والله غالب على أمره) فكيف يضعفون أمام عدوهم ، ومعهم العزيز ، الذى يغلب ولا يغلب ؟ وكيف يجبنون عن الجهاد فى سبيل الله ، وتلبية نداء الحق والواجب ، والله سبحانه وتعالى يمدهم بنصره ، ويوفيهم أجور أعمالهم ، فإنه تعالى قد قال : (ولن يتركم أعمالكم) أى لن ينقصكم أجورها .

أيها المستمع :

المؤمن بالله ، الواثق به ، المتبع للحق الذى أمر سبحانه باتباعه يكون شجاعاً : يقول كلمة الحق ، ويدعو إلى الحق ، وينصر الحق ، ويشهد بالحق ، ولا يخشى أحداً سوى الله الملك الحق . ذلك المؤمن يكون شجاعاً يقذف بنفسه فى لجة البحر — لإنقاذ المشرف على الغرق ، ويخاطر بروحه ، لاطفاء النار ، ولإغاثة الملهوف ، ويدفع عن المظلوم الظالم الآثم . ويغامر — إذا كان طبيباً — بحياته فى مكافحة الأوبئة الفتاكة ، غير مبال بالعدوى ، ولا ناظر لشىء سوى إنقاذ الناس من خطر داهم . ويقدم جندياً غير هياب ولا وجل على العدو فى ميدان القتال ، لايفزعه مايرى من دماء مراقة ، ورءوس متطايرة ، وأعضاء مبعثرة ، وأجسام هامدة .

وإن الأمة التى تتكون من المؤمنين الشجعان — جانبها مرهوب وعدوها مغلوب ، وإن أرادت شيئاً — نالت ما تريد وهابها كل جبار عنيد .

والأمة التى يوجد فيها من يجرؤ على ارتكاب المظالم ، ولا يوجد فيها من يجرؤ على رده عن ظلمه — يشيع فيها الظلم ، ويبغى قويها على ضعيفها ، ويستبد غنيها بفقيرها ، وحينئذ فيها تراق الدماء ، وتهتك الأعراض ، وتسلب الأموال . ولا شك أن تلك الأمة يكون مصيرها الزوال (واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا أن الله شديد العقاب) فلابد لبقاء الأمة وسلامتها من أن يتجمل أفرادها بالشجاعة — ليدفعوا عن كيانها ، ويحموا بلادها ، ويجهروا بالحق لنشر الفضيلة بينها ، وردع الجرىء على ارتكاب المظالم والرذيلة فيها .

وكيف يجبن المؤمن — بأنه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها وأجلها ، وكيف يضعف قلب المؤمن بقوله تعالى : (ولن يؤخر الله نفساً إذا جاء أجلها والله خبير بما تعملون) ، إنه يتجه إلى هدفه السامى فى شجاعة وإقدام ، وهو يردد فى اطمئنان وانشراح قول الله العزيز العلام (قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون) .

ولقد كان نبينا صلى الله عليه وسلم فى الشجاعة والجهر بالحق خير قدوة : لما جاء كفار قريش لعمه أبى طالب ، وطلبوا منه أن يمنعه صلى الله عليه وسلم من سب آلهتهم وتسفيه آرائهم ، وعيب تقليدهم لآبائهم ، وإلا قاتلوه معه ، فقال: يا ابن أخى إن القوم جاءونى ، وقالوا كذا وكذا ، فأبق على نفسك وعلى — قال صلوات الله وسلامه عليه كلمته المأثورة فى الشجاعة والقوة ، والاستمساك بالحق والجهر به : (والله ياعم لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على أن أترك هذا الأمر ما فعلت حتى يظهره الله أو أهلك دونه) ، وقد اقتدى بالرسول صلى الله عليه وسلم أصحابه رضى الله عنهم ، فتحلوا بالشجاعة ، وجهروا بالحق وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ، فعزوا وسعدوا وانتصروا وسادوا .

أيها المسلمون :

لتفوزوا بالسعد والأمان — كونوا كنبيكم وأصحابه شجعاناً فى نصرة الحق ، ولا يقعد بكم الجبن وضعف القلب عن تحمل الشدائد ودفع النوازل والكوارث ، والدفاع عن الوطن ونصرة المظلوم : (ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين) .

وروى مسلم فى صحيحه عن أنس رضى الله عنه قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس ، وكان أجود الناس ، وكان أشجع الناس » .

وروى أبو داود عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم : قال« شر ما فى الرجل شح هالع(١) وجبن خالع(٢)»

(١) المراد الشح الذى يجزع به صاحب المال على ماله أخش الجزع ويحزنه كأعظم الحزن . والشح : البخل .
(٢) الجبن الخالع هو الذى يخلع القلب لشدته ، والجبن ضعف القلب .

٢٤ — الحضارة والمدنية فى الاسلام

الحمد لله : العلم الحكيم ، وأشهد أن لا إله إلا الله : يعمر الأرض بالإسلام، ذين الحق الذى ارتضاه للأنام ، وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله ، ملأ الكون نوراً بهداه، اللهم صل وسلم على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه ، الذين كانوا خير عنوان للأمة الإسلامية ، الممدوحة بقول الله : (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله) .

أما بعد : فقد قال الله تعالى : (من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون) .

عباد الله :

لا شك أن الناس يرون من عجائب العلم والاختراع فى هذا العصر ما يبهر العيون ، فها هى ذى (الكهرباء) تضىء لهم الظلماء ولهم فيها منافع كثيرة ، وبسرعة البرق ينقل (الراديو والتلغراف والتليفون والتلفزيون) لهم الصور والأحاديث والأنباء . وفى الزمن القليل يقطعون المسافات الطويلة ، بما أحدث العلم والاختراع من مراكب فى البر والبحر والهواء .

ولا شك أن عجائب العلم والاختراع كثيرة فى عصرنا ، ولكن منها ما هو جمال ومتعة ولعمة وسبيل العمران ، ومنها ماهو نقمة وشر مستطير ، فلقد صنعت المصانع الحربية ما يجعل الولدان شيباً ، من آلات الفتك والتدمير . ولقد صار العلماء الآن يتفننون فى اختراع

ما يقضى على الإنسانية القضاء الأخير ، مما لا يحمى منه قلاع ولا مخابىء ولا حصون وخبر (القنبلة) الذرية شاع وذاع ، وملأ الأسماع والبقاع وزاد الناس انزعاجاً فوق انزعاجهم من الفاوات الخانقة وما إليها من مهلكات .

وهكذا الغرب العالم المخترع ، ومن على شاكلته من المهتمين بآلات الإبادة والتخريب ، يروعون الآمنين ، ويشيعون الذعر فى العالمين ، وماذا عليهم لو قصروا اجتهادهم فى البحث والاختراع على ما يفيد الإنسانية ، ولم يتجهوا بالعلم إلى غير النواحى العمرانية ؟ ولكن نفوسهم قد انطوت على القسوة والأثرة والأنانية ، فهم لا يحبون الخير لسواهم ، ولا يرحمون غيرهم ، ويبغون ويعتدون ، ويغدرون وينقضون العهد ويغشون ، وينافقون ويخادعون ، ويتفننون فى صنع آلات القتال ، لتزهقوا الأرواح البريئة ، ويدكوا مبانى العزل ، طلاب الحرية المهضومى الحقوق ، وليأخذوا ما بأيديهم ، وينفردوا بالخير دونهم ، وأين الحضارة والمدنية مع هذا الجشع وذلك العدوان ؟ ولم تقف عند حد أطماع تلك الدول الباغية ، فأخذوا يتسابقون فى فى التفوق فى السلاح ، تبغى كل منها تملك الخير وحدها ، والانفراد بالسيادة والسلطان ، ولقد ذاقوا فى الحربين العالميتين وبال أمرهم وكان عاقبة أمرهم خسراً ، فماذا جنوا من العلم والاختراع ، مع الظلم والحسد وعدم التدين سوى العناء والشر والشقاء ، وهكذا العلم بلا دين يجعل الحياة كدراً وتعساً ، وهما وذلا ، وخصاماً ونزاعاً ، وتعباً واضطراباً .

عباد الله :

إن الحضارة الحقة ، والمدنية الصحيحة الصادقة ، حيث الحياة

الطيبة الهنيئة ، فى هدوء واطمئنان ، وقوام تلك الحياة وأساسها الإيمان والعدل والإحسان ، والرحمة والحنان ، والمساواة والإنصاف والصدق فى القول ، والإخلاص فى العمل الصالح ، وأن تقوم المحبة بين الناس مقام القانون ، وقد جاءت الرسل بذلك كله ديناً ، وصراطاً مستقيما ، وفضائل تتحلى بها النفوس .

ولقد عاش الناس ، فى راحة وطمأنينة وأمان ، بهذه الأخلاق الكريمة فى ظلال الإسلام ، وتحت راية القرآن ، مدة من الزمان ، سجل فيها التاريخ "شهادة الإسلام ، بأنه دين العلم النافع ، الذى يسعد بنى الإنسان ، ودين الرحمة والرأفة والصلاح والسلام ، والحضارة والمدنية فى أعلى مقام ، ولذلك اختاره الله تعالى ديناً للناس ، بعد أن بلغت الإنسانية رشدها ، وقال جل شأنه (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام ديناً) ، وقال (ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين) .

ومن العلم النافع ، الذى يلفت الإسلام معتنقيه إليه ، العلم الذى تعز به الأوطان ، والذى تصح به الأبدان ، والذى به القوة وإرهاب حلفاء الشيطان ، فقد قال عليه الصلاة والسلام : « احرص على ما ينفعك(١) » .

أيها المسلمون :

استمسكوا بالإسلام فى جميع نواحيه ، بذلك تصح عقائدكم ، وتصلح أعمالكم ، وتحسن أخلاقكم فتحيون فى نور وسرور ،

(١) هذا جزء من حديث رواه مسلم فى صحيحه .

وتلفتون الأنظار إلى حضــارة دينكم الباهر ، ومدنيته الزاهرة . وتفوزون بدخول الجنــة فى الدار الآخرة (والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا وعد الله حقا ومن أصدق من الله قيلا) .

روى البخارى فى الأدب المفرد ، والإمام أحمد فى المسند ، والطبرانى عن ابن عباس : رضى الله عنهما أن النبى ﷺ قال : «أحب الأديان إلى الله الحنيفية السمحة » .

وروى الإمام أحمد فى مسنده ، عن عائشة رضى الله عنها — أن رسول الله ﷺ قال : (إنى أرسلت بالحنيفية السمحة) .

٢٥ — الحث على العمل وشرف العامل

الحمد لله : يضاعف أجر من أحسن العمل ، وأشهد أن لا إله إلا الله : يحب المخلصين ، ويبلغهم الأمل ، وأشهد أن سيدنا محمداً ، رسول الله ، خير من عمل . اللهم صل وسلم على سيدنا محمد ، وعلى آله وأصحابه، الذين عملوا صالحاً فنالوا خيراً ، وارتفعوا قدراً .

أما بعد : فقد قال الله تعالى : (وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون).

أيها المسلمون :

إن العمل فى الدنيا أساس عمارتها ، وقوام الحياة فيها ، وضمان الشرف ، وأمان من الذلة والمهانة ، وسبيل إلى الفلاح وحسن المصير ، والفوز بجنات النعيم .

فبالعمل تستخرج كنوز الأرض وخيراتها ، وينمو حيوانها ونباتها ، ويتمتع بملذاتها ، وينال الإنسان حاجته من الطعام والكساء والمسكن ، وقد قال تعالى : (هو الذى جعل لكم الأرض ذلولا(١) فامشوا فى مناكبها(٢) وكلوا من رزقه وإليه النشور(٣)) .

ولقد كان سلفنا الصالح — مع اعتمادهم على الله فى جميع أمورهم ، وثقتهم بما عنده تعالى — يهتمون بمعاشهم ، لم يتركوا طريقاً شريفاً

(١) ممهدة سهلة مقدورا على استثمارها والانتفاع بخيراتها .

(٢) جوانبها وطرقها .

(٣) انتشار الناس من قبورهم بعد إحياء الله تعالى لهم

إليه إلا سالكوه ، ولا بابا مغلقاً إلا عالجوه ففتحوه ، فقد رعى رسول الله ﷺ الغنم فى صغره ، واتجر فى كبره ، واتجر أصحابه رضى الله عنهم فى البر والبحر، وعملوا فى نخيلهم ومزارعهم، وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول : لايقعد أحدكم عن طلب الرزق وهو يقول : اللهم ارزقنى . فقد علمتم أن السماء لاتمطر ذهباً ولا فضة، وكان يقول : مامن موضع يأتينى الموت فيه أحب إلى من موضع أتسوق فيه لأهلى أبيع وأشترى .

وقال أبو سليمان الدارانى : ليست العبادة عندنا أن تصف قدميك وغيرك يقوت لك ، ولكن ابدأ برغيفيك فأحرزهما ثم تعبد . فالسعى فى طلب الرزق من أفضل القربات إلى الله . وقال بعض السلف(١) : « إن من الذنوب ذنوباً لايكفرها إلا الهم فى طلب المعيشة » .

فمن ألف البطالة والكسل، وترك العمل، فقد ترك سبيل الرشد والهدى وسقط فى هوة الردى ، ولم يهتد بهدى الإسلام ، ومن جد وجد ، واستغنى بكسبه ، فلم يستخف به أحد ، وعاش عزيزاً كريماً ، ونال فى أخراه أجراً عظيماً .

يأيها المسلم :

اكسب بالعمل عزك وسعدك ، وساهم به فى رفعة وطنك وأمتك مهتدياً بهدى دينك ، الذى عز به من سبقك ، واعلم أن عرقك الذى ينضح وأنت فى عملك ، ماء مبارك يروى بلادك ، وأن تعبك فى العمل راحة لك ولمجتمعك ، وأن ماعملت قوة وحياة لدولتك ، وفى قوة

---

(١) سيأتى إفادة ذلك عن النبى صلى الله عليه وسلم .

دولتك وحياتها الخير لك ، ولا تحتقر عملا ، فقد قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه : « مكسبة فى دناءة خير من سؤال الناس » . فالعامل بالاحترام جدير ، ولا يستغنى الناس عنه ، فلولا الزارع ماوجد الغذاء ، ولولا الخياط مالبس الكساء ، ولولا الحداد صانع الفأس ونحوها ماأمكن استغلال الأرض ، ولولا الميكانيكى ماكانت سيارة ، ولاسارت قاطرة ، ولاتحركت باخرة ولا طارت طائرة .

وقد قال رسول الله ﷺ (١) . « ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده ، وإن نبى الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده فى الدروع(٢) من الحديد ويبيعه لقومه » .

أيها المسلم

احرص على ماينفعك ، فاعمل لخير دنياك وآخرتك ، واستعن بالله ولاتعجز ، يزدك قوة ، ويهب لك ثروة ، ويحفظك من جناية البطالة والكسل ، على صحتك وثروتك وخلقك ، (ونعم أجر العاملين) .

روى البخارى ومسلم فى صحيحيهما عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « لأن يغدو أحدكم فيحتطب على ظهره فيتصدق منه ويستغنى به عن الناس خير له من أن يسأل رجلا أعطاه أو منعه » .

---

(١) رواه البخارى .
(٢) جمع درع : وهى الزردية .

وروى الطبرانى وأبو نعيم ، عن أبى هريرة رضى الله عنه — أن رسول الله صلى الله عليه وسلم — قال [إن من الذنوب ذنوباً لا تكفرها الصلاة ولا الصوم ولا الحج ويكفرها الهم فى طلب المعيشة] .

وروى الديلمى ، عن أبى هريرة رضى الله عنه — أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (إن فى الجنة درجة لا ينالها إلا أصحاب الهموم) يعنى فى طلب المعيشة .

٢٦ – العمل سبيل الكرامة والعزة والسعادة

الحمد لله : يرفع القدر ويبلغ الأمل ، بالسعى والجد فى العمل ، وأشهد أن لا إله إلا الله ، يعز من يكرم نفسه ، ويصونها بكسب المال عن ذل السؤال ، وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله ، عاب الكسل وما يؤدى إليه من الإفراط فى النوم والأكل ، فقال : «أخشى ما خشيت على أمتى كبر البطن ومداومة النوم والكسل (١) » اللهم صل وسلم على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه ، الذين لم يكونوا عالة على سواهم ، وسعوا فى سبيل الحياة الكريمة ، فعاشوا أعـــزاء ، وفارقوا الحياة كرماء ، فائزين بخير الجزاء .

أما بعد فقد قال الله تعالى : (وأن ليس للإنسان إلا ما سعى . وأن سعيه سوف يرى . ثم يجزاه الجزاء الأوفى) .

أيها الناس :

نصيب الإنسان من الجزاء والمكافأة فى الدنيا والآخرة على قدر ما يبذله من العمل والسعى ، خيراً أو شراً ، قليلا أو كثيراً (فمن يعمل مثقال ذرة (٢) خيراً يره . ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره) . فالعاقل من عمل خيراً كثيراً . ليكون نصيبه من الجزاء الحسن كبيراً (إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجراً عظيما) .

أيها المسلمون :

العمل روح الحياة ، وأساس العمران ، وسبيل الكمال ، ومنبع

---

(١) رواه الدارقطنى فى الأفراد ، وكبر البطن كناية عن انتفاخه وامتلائه بالطعام مما يكون بعلة الكسل ، والعجز عن متابعة العمل .

(٢) النملة الصغيرة أو الجزء من أجزاء الهباء .

الثروة والمال ، ولولاه ما كانت قصور شاهقة ، ولا حقول ناضرة ، ولا حدائق يانعة ، ولا أشجار طيبة ، تؤتى أكلها كل حين بإذن ربها ، وترويح النفوس برائحة أزهارها ولولاه ما كانت طائرات تحلق فى الجو ، ولا سفن تشق لجة البحر ، ولا عرف البخار وآثاره ، ولا الكهرباء وعجائبها ، ولا كان الثوب الذى تلبسه ولا الرغيف الذى تأكله ، ولا كان الماء الصافى الذى تشربه ، ولا الكتاب المفيد الذى تقرؤه ولولاه لكان كل شىء على حاله منذ بدأ الله خلقه . قلبوا بصركم فيما حولكم وفيما أنتم فيه اليوم ؛ وما تصيرون إليه غداً . تجدوا فى كل شىء أثراً للعمل ، والعاملون فى كل زمان ومكان هم الذين شادوا صروح المدنية وأقاموا معالم الحضارة ومدوا ظلها فى الوجود .

لم يخلق الله الإنسان عبثاً فى هذه الحياة فيلهو ، وإنما خلقه وكلفه العمل ليعمر الدنيا ، وينتفع بما ظهر منها وما بطن ، وقد جرت سنته تعالى فى خلقه أن الإنسان ينال نصيبه من الدنيا بالكد والسعى ، وإذا حرك يده فتح له باب الرزق .

وقد عمل سلفنا الصالح ، لكسب المال ، والاستغناء به عما فى أيدى الناس ؛ روى الإمام أحمد أن المقدام بن معد يكرب الصحابى كانت له جارية تبيع اللبن ، ويقبض هو ثمنه . فقيل له : سبحان الله . أتبيع اللبن وتقبض الثمن ؟ فقال نعم ، وما بأس فى ذلك ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ليأتين على الناس زمان لا ينفع فيه إلا الدرهم والدينار » ، وقال سيدنا عمر بن الخطاب : « إنى لأرى الرجل فيعجبنى ، فأقول : أله حرفة ؟ فإن قالوا لا ، سقط من عينى » فالعمل يرفع قيمة صاحبه ، ويصون كرامته ، بل الحياة بغيره عبث . لا فائدة فيها ،

وما الحياة بأنفاس نرددها إن الحياة حياة العلم والعمل

وإن الأمة العاملة المجــدة النشيطة يتسع مالكها ، ويعظم شأنها ، وتخفق في البر والبحر أعلامها ، وتروج تجارتها ، وتنتشر لغتها ويظهر أبناؤها في كل بلد وناحية ، لطلب العيش وكسب المال ، وبقدر ماتكون عليه الأمة من عمل وكفاح وسعي ـ يكون نصيبها من العزة والسعادة ، والخير والنعيم والسيادة .

وبالبطالة والكسل يتعود الإنسان البلادة ، ويفقد النشاط والصحة ، وتسقط كرامته ، وقد قال رسول الله ﷺ (١) : « إذا قصر العبد في العمل ابتلاه الله بالهم » .

أيها المسلم :

اعمل على سعادة نفسك ؛ وساهم في سعادة أمتك بالعمل لدنياك وآخرتك ، واكسب الحلال من المال لتيسر على أهلك وجيرانك ، وتصون كرامتك « ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة » (٢) .

روى أبو نعيم في الحلية عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « من طلب الدنيا حلالا استعفافاً عن المسألة وسعياً على أهله وتعطفاً على جاره بعثه الله يوم القيامة ووجهه مثل القمر ليلة البدر ، ومن طلبها حراماً مكاثراً بها مفاخراً لقي الله عز وجل وهو عليه غضبان » .

---

(١) رواه الإمام أحمد . (٢) جزء من حديث شريف رواه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وروى الترمذى ، عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «من أكل طيباً ، وعمل فى سنة ، وأمن الناس بوائقه — دخل الجنة . قالوا : يارسول الله ؟ إن هذا فى أمتك اليوم كثير . قال : وسيكون فى قرون (١) بعدى» .

---

(١) فى رواية الحاكم — قوم — بدل قرون ؛ والبوائق : جمع بائقة؛ وهى الغصب.

٢٧ – فى فعل الخير سلامة المجتمع وسعادته وعزته

الحمد لله : الذى حبه هناء ، وبغضه شقاء ، وأشهد أن لا إله إلا الله: الذى يحب من فعل الخيرات ، ويبغض من فعل المنكرات ، وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله ، خير من دعا إلى الخيرات ، وحذر من الشر ، اللهم صل وسلم على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه ، الذين استجابوا لدعوته ففعلوا الخير ، وبعدوا عن الشر ، فكانت حياتهم طيبة ، وفازوا بحسن العاقبة .

أما بعد : فقد قال الله تعالى : (وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيراً وأعظم أجراً) .

أيها المسلم :

إذا عملت صالحاً أو إحساناً أو جميلا أو معروفاً وخيراً ، أو أسديت شيئاً نافعاً مفيداً إلى غيرك ، وكففت عن الناس أذاك وشرك – كنت براً خيراً ، ولم تك شريراً ، ولا فاجراً وأعقبك فعلك الخير راحة وطمأنينة ومزيداً من الخير وأمناً . وفى القرآن الكريم (إن الأبرار لفى نعيم . وإن الفجار لفى جحيم) .

الخير كشجرة طيبة ، أصلها ثابت وفرعها فى السماء . تؤتى أكلها كل حين بإذن ربها . وأصل الخير وأساسه اعتقاد صحيح ، وإيمان متين ، ويقين يبدد ظلمات الشك ، واتباع لأحسن القول ، وثبات على الحق ، وخشية لله فى السر والعلن وحياء يصد عما يشين ، وإحسان تامره

مراقبة الله جل وعلا — بأن تعبده تعالى كأنك تراه . فإن لم تكن تراه . فإنه يراك .

والخير فروع لا فرع واحد، فالمروءة ومكارم الأخلاق، والاستقامة وطاعة الله والسخاء ، ومراعاة حقوق الخالق والمخلوق. وصلة الرحم، وما أمر الله به أن يوصل والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، والجهاد فى سبيل الله ، ونشر الفضيلة ومحاربة الرذيلة ، كل ذلك خير ، وثماره التوفيق والنجاح والمحبة والوفاق ، ونجاة النفوس والأموال واليمن والبركة ، والسكينة والطمأنينة ، وجنة عرضها السماوات والأرض . ورضوان من الله أكبر .

وإذا عم الخير المجتمع فكان كل فرد فيه خيراً ، عمه الاصلاح والعدل والاتحاد والاخاء والوفاء ، والانصاف والمساواة ، والتعاون على كل مفيد ، ومساعدة الضعيف والمواساة والرحمة ، والتشجيع على حسن العمل ، والمحبة والصفاء ، وفى ذلك السلامة والأمن والعزة والسعادة .

أيها المسلمون :

اعملوا على سلامة مجتمعكم وسعادته وعزته بتمسككم بالخير وصحة اعتقادكم ، وحبكم وتوحيدكم لخالقكم ، وبإخلاصكم له الدين ، وعبادته بلا رياء ، وبعمل الصالحات والدعوة إلى فعل الخيرات ، والتخلق بالاخلاق الفاضلة ، واسمعوا قول الله تعالى : (يأيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون) .

روى ابن ماجه عن سهل بن سعد رضى الله عنه : أن رسول الله

ﷺ قال : « إن هذا الخير خزائن ، ولتلك الخزائن مفاتيح(١) فطوبى لعبد جعله الله عز وجل مفتاحاً للخير مغلاقاً للشر . وويل لعبد جعله الله مفتاحاً للشر مغلاقاً للخير » .

وروى البزار ، عن أنس رضى الله عنه ، عن النبى ﷺ قال : (الدال على الخير كفاعله ، والله يحب إغاثة اللهفان) .

وروى الحاكم ، عن على رضى الله عنه ، فى قوله تعالى : (قوا أنفسكم وأهليكم ناراً) — قال : علموا أهليكم الخير .

(١) المفتاح بكسر الميم آلة لفتح الباب ، ولتلك الخزائن مفاتيح ، أى فهو مفاتيح أى أن الله تعالى أجرى على أيديهم فتح أبواب الخير ، كالعلم والصلاح على الناس ، حتى كأنه ملكهم مفاتيح الخير ووضعها فى أيديهم ، وطوبى اسم الجنة ، وقيل هى شجرة فيها .

٢٨ – الحث على اتباع السلف

(الحمد لله الذى له ما فى السماوات وما فى الأرض وله الحمد فى الآخرة وهو الحكيم الخبير) ، وأشهد أن لا إله إلا الله : يحب المصلحين ، ويبغض المفسدين ، وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله ، خير قدوة لمن أرضى الله جل علاه . اللهم صل وسلم على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد : فقد روى البخارى فى صحيحه أن رسول الله ﷺ قال : « يذهب الصالحون الأول فالأول وتبقى حفالة(١) كحفالة الشعير أو التمر لا يباليهم الله تعالى بالة(٢) » ، والحفالة : هى الحثالة أى الحقير من الناس . ومعنى لا يبالى الله تعالى الحقير من الناس مبالاة(٣) : لا يهتم به اهتماماً . والحقير من الناس عند الله هو من عصى الله واتبع هواه .

عباد الله :

علا مقام سلفنا الصالح عند الله ، إذ أقبلوا : رضوان الله عليهم على صالح الأعمال ، وتحلوا بحلة الفضل والكمال ، وظهروا بأحسن الأحوال فكانوا عباد الرحمن المؤمنين المتواضعين ، المعرضين عن ذوى الجهل ، العابدين الراكعين الساجدين . الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر ، والحافظين لحدود الله . ثبت الإيمان فى قرار قلوبهم وأثمر

(١) فى اللغة: الحفالة والحثالة : الحقير من الناس والشعير والتمر وغيره
(٢) مصدر بالى بمعنى اهتم ؛ وأصله بالية كعافية فحذفت الياء
(٣) مبالاة : مصدر بالى أيضاً

صالح أعمالهم ، مقروناً بالإخلاص لرب العالمين ، وكانت معاملتهم الحسنة ، وأخلاقهم الكريمة برهاناً على أنهم عباد مكرمون : زينوا الأرض بأنوار أعمالهم ، كما زينت السماء بأنوار النجوم .

أيها المسلمون :

أين هؤلاء الأبرار ، أين أهل الأنوار الأطهار ، أين أهل الحياء وأهل الإحسان ، أين الذين كانوا يمسحون دموع اليتامى بأيدى الرحمة والحنان ، أين الذين كانوا ينفسون الكروب ويسرون الهموم والأحزان ، أين أهل الشفقة والرأفة بالمؤمنين المقتدون فى ذلك بنبيهم الأمين ، أين الذين كانوا يتعاونون على البر والتقوى لا على الإثم والعدوان ، أين الذين كانوا يساعدون فى الخير والحق بلا هوى ربهم افتتان . أين العادلون أهل الشجاعة . أين أهل النجدة والوفاء والعزيمة والبراعة أين الذين كانوا لا يخافون الظالم أن يقولوا له : ياظالم ، أين الذين بهم ذهبت ظلمات الظلم وانمحت المظالم . أين الذين لو تواضعت لهم أكرموك ، وإن توددت لهم نفعوك ، وإذا غبت عنهم لم يغتابوك أين الذين كانوا إخواناً صادقين يجودون على أخيهم بالنفائس الغالية ، ويبذلون فى حاجته ، وهمتهم عالية ، أين الذين كانوا ينفقون أموالهم فى سبيل الله . ويؤثرون على أنفسهم ، ولو كان بهم خصاصة ، فقر وحاجة ، أين أهل المروءة الذين زهدوا فى الدار الفانية ، وأرادوا راغبين الآخرة الباقية (ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكوراً) ؟

يا قوم :

هل ترون لهم من باقية : لقد ماتوا وتركوا المروءة(١) تبكيهم ، قبل رأيتم من ينظرون المعسرين ، هل رأيتم من بالقليل يقنعون ، هل شاهدتم من يخالف عادة الناس ليقتدى بسنة سيد الاولين والآخرين ، هل شاهدتم إنساناً فى ضيق ، وأغاثه من يقولون : إنا مسلمون (إنا لله وإنا إليه راجعون) .

ذهب الذين يعاش فى أكنافهم(٢)

وبقيت فى خلف كجلد الأجرب

(أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غياً)(٣) هم ذئاب فى صورة الآدميين ، ومنافقون فى هيئة المؤمنين الصادقين أشحاء بخلاء ، سفاكون الدماء ، هم الداء فى صورة الدواء . تقابلهم فتلقاهم باسمين ، والأسد تبسم حين تفترس ، وتحسبهم نافعين ، والسفينة لا تركب على اليبس ، أعاذنا الله من شرهم ووقانا من ضرهم .

أيها المسلم .

اتق الله وكن كسلفك الصالح ، اعمل صالحاً وأرض الخلاق ، وتخلق بمكارم الأخلاق . واحذر أن تقلد أهل هذا الزمن المفتونين المائلين عن الحق ، فطرقهم طرق النيران وخططهم حبائل الشيطان : (يأيها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوماً لا يجزى والد عن ولده ، ولا

---

(١) هى آداب نفسية تحمل مراعاتها الإنسان على الوقوف عند محاسن الأخلاق وجيل العادات .

(٢) أى جوانبهم (٣) أى شراً

مولود هو جاز عن والده شيئاً ، إن وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور) .

وروى البخارى ومسلم عن عمران بن حصين رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : (خيركم قرنى (١) ثم الذين (٢) يلونهم الذين (٣) يلونهم ثم يكون بعدهم قوم يخونون ولا يؤتمنون ويشهدون ، ولا يستشهدون ، وينذرون (٤) ولا يوفون ، ويظهر فيهم السمن) .

---

(١) يعنى الصحابة. والقرن : أهل كل زمان ؛ وقيل أربعون سنة ؛ وقيل ثمانون سنة، وقيل مائة سنة

(٢) يعنى التابعين

(٣) يعنى تابع التابعين

(٤) هو من باب ضرب ونصر فيجوز كسر الدال وضمها

٢٩ — المساواة فى الإسلام

الحمد لله : كرم الإنسان بالإسلام ، وأشهد، أن لا إله إلا الله، جعل العبودية له وحده فارتفعت كرامة بنى آدم ، وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله ، بشر الناس بالعزة والحرية ، حين أعلن مبدأ المساواة فى بنى الإنسانية اللهم صل وسلم على سيدنا محمد، وعلى آله وأصحابه الهداة، الذين نشروا السلام بالإسلام ، دين الحرية والإخاء والمساواة .

أما بعد فقد قال الله تعالى: (يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم ، إن الله عليم خبير)

فى ذلك القول ـ يبين الله جـــل شأنه لأبناء الإنسانية كلهم فى الشرق والغرب . والبر والبحر ، لا فرق بين أسودهم وأبيضهم — أنهم بعنوان الإنسانية ـ مخلوقون من أصل واحد ، ذكر واحد، وأنثى واحدة ، فهم لا يتفاوتون فى صلتهم به ، ولكنهم يتفاوتون بشىء وراء ذلك ، هو التقوى .

عباد الله :

بذلك النداء الإلهى ـ قضى الإسلام على خرافة الجنس ، وأبطل ما يعتقده بعض الشعوب من أنه خلق ليحكم ويكون سيداً، وأن غيره خلق ليحكم ويكون عبدا .

بذلك النداء الالهى قضى الاسلام على أدعاء الصهيونيين أنهم أبناء الله وأحباؤه ، وأن اليهود شعب الله المختار ، الذى له وحده خير الدنيا والإجلال والإكبار .

بذلك النداء العظيم ـ أزال الاسلام الفوارق بين الناس ولم يعد أساس التقدير بينهم الحسب والجاه والمال ، وإنما هو ما يقدمون من صالح الأعمال وما يتصفون به من كريم الخصال .

بذلك النداء الكريم ـ ذكر الاسلام شعوب العالم أنهم جميعاً أخوة فهم ـ على اختلاف أجناسهم وكثرة ألوانهم ـ أبناء أب واحد ، وأم واحدة ، ومقتضى هذه الصلة وتلك الأخوة ـ التعارف والمحبة والائتلاف ـ لا التناكر والبغض والاختلاف ، ولو ساد بين شعوب العالم التعارف والمحبة والائتلاف ـ لعم بينهم التعاون على الخير والعمران ، ولقضى على ما يعانون من تطاحن وويلات ، بسبب اعتقاد السمو فى الجنس ، والتفرقة بين الأفراد .

وبذلك النداء الالهى ـ أعلن الاسلام المساواة بين الناس فى الحقوق والواجبات ـ للسلام بين الأفراد والجماعات ، وصون حقوق الضعفاء وقمع ظلم الأقوياء ، واستبداد الزعماء ، وارتفاع كرامة الانسان ، حتى قال الخليفة الأول أبو بكر الصديق رضى الله عنه : « أيها الناس : إنى قد وليت عليكم ولست بخيركم ، فإن رأيتمونى على حق فأعينونى ، وإن رأيتمونى على باطل فسددونى(١) ، أطيعونى ما أطعت الله فيكم ، فإن عصيت فلا طاعة لى عليكم ، الا أن أقواكم عندى الضعيف حتى آخذ الحق له ، وأضعفكم عندى القوى حتى آخذ الحق منه » .

---

(١) وجهونى إلى السداد وهو الصواب من القول والفعل وقد خطب سيدنا أبو بكر رضى الله عنه هذه الخطبة بعد البيعة وقد بدأها بالحمد والثناء عليه تعالى وختمها بقوله : أقول قولى هذا واستغفر الله لى ولكم . وتعد هذه الخطبة دستور الحكام العادلين .

ويتور ذلك النداء الالهى ـ قال عمر رضى الله عنه : «إن الله ليس بينه وبين أحد نسب إلا طاعته ، فالناس شريفهم ووضيعهم فى ذات الله سواء» .

فالمساواة بين الناس قررها الاسلام من زمن(١) بعيد ، وهى متجلية فى عباداته ومعاملاته وآدابه : فى الوقوف بين يدى الله فى صلاة الجماعة ، وفى الحج بوقفة عرفات ـ يحسها الخادم والمخدوم ، والحاكم والمحكوم ، والغنى والفقير ، وتشعر النفوس حينئذ بأنه لا يليق الذل والعبودية إلا لله ، ولا يليق الاستكبار والاستعلاء بمال ولا جاه .

وجاء أسامة بن زيد للنبى ﷺ يشفع فى ألا تقطع يد المرأة المخزومية ، التى وجب عليها حد السرقة ـ فقال(٢) صلوات الله وسلامه عليه : «أتشفع فى حد من حدود الله عز وجل . والله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها» .

ولما استنكف جبلة بن الأيهم ـ آخر ملوك بنى غسان(٣) أن يقتص منه أعرابى من بنى فزارة لأنه لطمه لطمة شديدة على وجهه قال له عمر رضى الله عنه(٤) : «الاسلام سوى بينكما» .

وإن من استمسك بمبدأ المساواة ـ أحسن إلى غيره وأنصفه ، وأعطاه حقه ، وعطف عليه ، وكف عنه أذاه فكسب حبه ورضاه ، وبذلك يكون الاخاء والاتحاد ، وهما سبيل القوة والحياة الكريمة .

---

(١) من أربعة عشر قرنا تقريبا .

(٢) رواه البخارى ومسلم .

(٣) هم العرب الذين كانوا يسكنون فيما يلى حدود الشام وكانوا تابعين لدولة الروم .

(٤) بعد قول سيدنا عمر ذلك القول ـ فاصر بعد أن هرب من القصاص : وفر إلى ملك الروم ثم ندم ولكن ما قيمة ذلك الندم

ومن تمسك بمبدإ المساواة القويم ، ووجد حلاوته — دفع كل حقد عليه أثيم ، وأعانه عليه فى جهاده العلى العظيم .

يا أبناء الإسلام :

فى التمسك بمبدإ المساواة — الفوز بالخير ، والوقاية من الشر ، وصلاح الأمة وسلامها ، فتمسكوا به ، وجاهدوا من لم يعترف به من الجبارين والمتكبرين كالصهيونيين ، وحققوه بينكم بمراقبة مولاكم ، الذى خلق الناس من نفس واحدة (يأيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء ، واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً) .

روى الطبرانى عن حبيب بن خراش أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « المسلمون إخوة ، لافضل لأحد على أحد إلا بالتقوى » .

وروى البخارى ومسلم فى صحيحيهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال — فى خطبة الوداع ، وقد كانت يوم عرفة فى حجة الوداع « كلكم لآدم ، وآدم من تراب ، لا فضل لعربى على عجمى إلا بالتقوى » وقال : « أيها الناس من أخذت له مالا فهذا مالى فليأخذ منه ، ومن ضربته ضربة فليقتص منى قبل يوم القيامة » .

وروى الإمام أحمد ، عن أبى ذر رضى الله عنه — أن النبى صلى الله عليه وسلم قال له : « انظر فإنك لست بخير من أحمر ولا أسود إلا أن تفضله بتقوى » .

٣٠ — الحث على الاتحاد والتحذير من التفرق

الحمد لله : أمر بالاتحاد والائتلاف، ونهى عن التفرق والاختلاف، وأشهد أن لا إله إلا الله : يمنح الأمة المتحدة العزة والسعادة ، ويذل الأمة المتفرقة ، ويجعل مصيرها الضياع ، وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله ، دعا إلى اجتماع الكلمة ،وحذر من التفرقة والانقسام ، اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه، الذين توادوا وتحابوا ، وتراحموا وتعاطفوا فقويت رابطتهم ، وساد بينهم السلام

أما بعد فقد قال الله تعالى : (وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين).

عباد الله :

هذا كتاب الله ينطق بالحق أن التنازع والاختلاف سبيل الفشل والجبن والضعف ، ومن ذلك يتجلى أن الاتحاد وضم الصفوف سبيل القوة .

فالأمة التي اتحدت أفرادها ، وتوحدت كلمتهم ، واتجهت جهودهم وجهة واحدة هي الأمة القوية ، المرهوبة الجانب التي ينظر إليها غيرها بعين الإجلال والتقدير ، وتعيش حرة مستقلة ، علمها مرفوع، وكلامها مسموع ، وجارها عزيز ، وعدوها ذليل . ودينها في تمكن وأمان ، وحياتها في سعادة واطمئنان، ولا يطمع فيها الأقوياء، ولا ينال منها الأعداء.

والأمة التي تفرقت واختلفت كلمتها ، وتنازعت في أمرها، ساطانها

فى اضمحلال، ودولتها إلى زوال — لفشل أفرادها وضعفها، وذهاب قوتها، وزوال هيبتها، يطمع فيها من يذلها ويستعمرها من لا يدين بدينها، فيذيقها العذاب ألواناً ويحقر مقدساتها، ويحرمها خيراتها، ويسعى فى أرضها فساداً، وينشر بين أهلها أحقاداً، حتى يكيد الأخ لأخيه، ويمكر الرجل بأهله، ويظهر الطغاة ويعلو المفسدون والبغاة، ويستبد المجرمون، ويسود الآثمون.

وما ساد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومن تبعهم بإحسان ولا نالوا العز المنيع، ولا الشرف الرفيع، ولا القوة التى بها قهروا الجبابرة، وأسقطوا عروش القياصرة والأكاسرة، وطهروا الأرض من الظلم والاستعباد، ونشروا لواء العدل والحرية والإخاء والمساواة بين الناس فى كل مكان — إلا باتحادهم وائتلافهم واجتماع قلوبهم، ونبذ الخصومات. وترك الخلافات والعمل لغاية واحدة وهدف واحد جليل شريف.

إن سلفنا الصالح — طهروا قلوبهم من الغل والحقد والحسد وداء العداوة، وملئوها بالإخلاص والمحبة والصفاء، وتحملوا بالصدق والوفاء والمودة والإخاء، فخلصت نياتهم واتحدت كلمتهم، فأناروا الأقطار بالإسلام، وملكوا مشارق الأرض ومغاربها، ولم تنكس لهم راية، ولم ينهزم لهم جند وقد قال صلى الله عليه وسلم: «يد الله مع الجماعة (١)»

أيها المسلمون:

---

(١) تتمة هذا الحديث: والشيطان مع من فارق الجماعة يركض: أى يضربه برجله. رواه الطبرانى.

كونوا كسلفكم الصالح وأحسنوا معاملاتكم واتحدوا وتناسوا خلافاتكم ، وكونوا يداً واحدة ، على قلب رجل واحد في جهاد أعدائكم ونصرة دينكم وبلادكم ، ولنجاحكم ونيل غايتكم ، وصون أوطانكم وعلو شأنكم (واعتصموا بحبل(١) الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً وكنتم على شفا(٢) حفرة من النار فأنقذكم منها ، كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون) .

روى الإمام أحمد رضي الله عنه ، عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « الجماعة رحمة والفرقة عذاب » .

وروى مسلم عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن الشيطان قد يئس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب ولكن في التحريش(٣) بينهم » أي ولكن استقر رجاؤه ، ولم ينقطع أمله في إيقاع العداوة والبغضاء بينهم .

---

(١) حبل الله هو القرآن أو الإسلام .
(٢) حرف وطرف .
(٣) التحريش : الإغراء بين الناس .

٣١ – سبيل الأمان يوم الحساب

الحمد لله : أحكم الحاكمين ، وأعدل العادلين (إن الله لا يظلم مثقال ذرة ، وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجراً عظيما) ، وأشهد أن لا إله إلا الله ، يحاسب على الفتيل(١) والقطمير(٢) ، والنقير(٣) ، وهو العليم الخبير ، وأشهد أن سيدنا محمد رسول الله ، البشير النذير ، اللهم صل وسلم على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه ، الذين خافوا فأمنوا ، وأحسنوا ففازوا (أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون) .

أما بعد : فقد قال الله تعالى : (ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً . وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين) .

يا عبد الله :

ألم تذهب إلى محكمة من المحاكم وتفكر فيما تراه هناك ؟ ! هناك ترى المجرم أمام القضاء ذليلا ، كاسف البال كئيبا ، في حيرة وحسرة وذهول وارتباك ، يسيل الدمع من عينيه ، والحزن العميق باد عليه ، ويود الخلاص ولو أنفق في سبيله كل ما يملك ، وأصبح معدما(٤) فقيراً ،

---

(١) ما يكون في شق النواة .

(٢) هو القشرة الرقيقة التي على النواة كاللفافة لها .

(٣) النقرة في ظهر النواة ، والمراد بالمحاسبة على هذه الثلاثة ، المحاسبة على العمل بقدرها ؛ فالله تعالى يحاسب على العمل الصغير كما يحاسب على العمل الكبير .

(٤) مفتقرا

لا تسأل عن فزعه حين يواجه بتهمته ، ولا حين يناقش فى جريمته ، ولا حين يفاجأ ببراهين الاتهام وأدلته : إنه حينئذ ـ يكون ميتا فى صورة الأحياء . ولا يجول بخاطره سوى ما يلقاه فى السجن من ضيق وعناء ، وما أطول اللحظة التى ينتظر فيها حكم القضاء ، ويتمنى أن يكون القاضى به رحيما . تصور حاله ، وقد حكم القاضى بإدانته ، وضاع كل أمل كان بيده فى سبيل براءته ، وأمر بفساقه السجانون بغلظة إلى سجنه وزنزانته ، ليكفر عما جنته يداه ويعذب كما عذب غيره وآذاه ، وليكون عبرة وعظة لسواه .

تفكر يا عبد الله فى هذه الأحوال ، واعلم أنها يسيرة بجانب ما يكون يوم حســـاب الكبير المتعال (يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه ، وصاحبته(١) وبنيه ، لكل امرىء منهم يومئذ شأن(٢) يغنيه) . هنالك القضاء لله وحده ، وهو الذى لا يخفى عليه شىء فى الأرض ولا فى السماء ، ولا يفيد معه جدال ولا مراء ، ولا يجوز عليه غش ولا دهاء . وفى ذلك اليوم العسير . وأمام العلى الكبير ، والعبد فى الهم الخطير ـ يقال له : (اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا) فيقرؤه خائفاً وجلا(٣) ، فيجده حافلا ، لكل ما قدم شاملا (ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين(٤) مما فيه ويقولون يا ويلتنا(٥) ما لهـــذا الكتاب لا يغادر(٦) صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها(٧) ووجدوا ما عملوا حاضراً ولا يظلم ربك أحدا) .

---

(١) زوجته — (٢) حال يشغله
(٣) خائفا — (٤) خائفين
(٥) يا هلاكنا — (٦) لا يترك
(٧) عدها وأثبتها

فقل لى يا عبد الله : ما الذى قدمت بين يديك لهذا الموقف الرهيب؟ والسلامة مما فيه من الفضيحة والتقصير ، والخلاص مما بعده من عذاب السعير ، وما الذى أعددت من الاجوبة والمعاذير ؟ . أفتنكر ما عملت من الآثام ؟ أم تتحكك بالشيطان معتذراً عما وقع من الإجرام ؟ أم تقول بعد فوات الوقت (ياليتنى اتخذت مع الرسول سبيلا) إنك إن أنكرت ذنوبك ختم الله على فمك وأنطق جوارحك فتشهد عليك .

(يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون . يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق ويعلمون أن الله هو الحق(١) المبين) ، بل الأرض من الشهود ، فى اليوم الموعود : قال أبو هريرة رضى الله عنه(٢) : « قرأ رسول الله ﷺ (يومئذ تحدث أخبارها) ثم قال : اتدرون ما أخبارها ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم : قال : فإن أخبارها أن تشهد على كل عبد أو أمة بما عمل على ظهرها : تقول : عملت كذا وكذا فى يوم كذا وكذا فهذه أخبارها .

وإن تحككت بالشيطان تبرأ منك قائلا فى الحال : إنى لم أقدك إلى المعاصى بسلاسل ولا أغلال : دعوتك فاستجبت لى وأطعت قولى (وقال الشيطان لما قضى الأمر إن الله وعدكم وعد الحق ، ووعدتكم فأخلفتكم . وما كان لى عليكم من سلطان(٣) إلا أن دعوتكم فاستجبتم لى ، فلا تلومونى ولوموا أنفسكم . ما أنا بمصرخكم(٤) وما أنتم بمصرخى . إنى كفرت بما أشركتمون من قبل إن الظالمين لهم عذاب أليم) .

---

(١) الثابت بذاته الظاهر بدلائل ألوهيته .
(٢) رواه الترمذى وقال حسن صحيح .
(٣) قوة وقهر .
(٤) بمغيثكم .

يا عبد الله :

ستندم كثيراً . وأنت متورط(١) في ذنوبك ، ولكن لا فائدة في الندم ، وستبكي طويلا ، ولكن لا ثمرة في البكاء (ومن يهن الله فما له من مكرم ، إن الله يفعل ما يشاء) . فأعد ليوم الحساب العدة من الآن وأطع في السر والعلانية ربك الواحد الديان . بذلك تنال الأمان من الأهوال ، وسوء الحال . وتحاسب حسابا يسيرا . وتجزى جنة وحريراً . (من يعمل سوءاً يجز به ولا يجد له من دون الله وليا(٢) ولا نصيراً . ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيراً) .

روى أحمد والترمذي عن عائشة رضي الله عنها أن رجلا من أصحاب رسول الله ﷺ جلس بين يديه فقال : يا رسول الله ، إن لي مملوكين يكذبونني ويخونونني ، ويعصونني وأضربهم وأشتمهم ، فكيف أنا منهم فقال له رسول الله ﷺ : « يحسب ما خانوك وعصوك وكذبوك وعقابك إياهم . فإن كان عقابك إياهم دون ذنوبهم كان فضلا لك وإن كان عقابك إياهم بقدر ذنوبهم كان كفافا(٣) . لا لك ولا عليك . وإن كان عقابك إياهم فوق ذنوبهم اقتص لهم منك الفضل(٤) الذي بقي قبلك » . فجعل الرجل يبكي بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم .

---

(١) متورط : لم يسهل له الخروج ولم يجد خلاصاً منها .

(٢) قريباً .

(٣) غير زائد ولا ناقص .

(٤) الزائد .

حويهم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مالك ؟ ما تقرأ كتاب الله (ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا ، وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين) .

فقال الرجل : يا رسول الله ما أجد شيئاً خيراً من فراق هؤلاء ـ يعنى عبيده ، أشهدك أنهم كلهم أحرار .

٣٢ـ الحرية في الإسلام

الحمد لله : خلق الناس أحراراً ، ورضي لهم أن يعيشوا بالحرية أخياراً ، وأشهد أن لا إله إلا الله : يهب الحياة ، ويمنح من يشاء العز والجاه ، وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله ، جاء بالحرية حقاً من حقوق الإنسانية ، اللهم صل وسلم على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه ، السادة الأبرار ، الخيرة الأحرار .

أما بعد : فقد أرسل الله موسى وهارون إلى فرعون : يدعوانه إلى الله ، وإلى منح بني إسرائيل الحرية ، وفي ذلك يقول تبارك وتعالى : (فأتيا فرعون فقولا إنا رسول رب العالمين . أن أرسل معنا بني إسرائيل) أي أطلقهم من ذل عبوديتك .

أيها المستمعون :

الحرية نعمة من الله ، تضمنتها دعوة الرسل ، وإليها تصبوا كل نفس ، وفي سبيلها يبذل الإنسان ما ملكت يداه ، إذ بها تطيب الحياة ، لذلك سعت لها الأمم الحية ، وكسبتها بأرواح أبنائها ، وحرصت عليها بسواعد أبطالها ، وقوة رجالها ، ولكن ليست الحرية أن يقول الإنسان ما يشاء ، ويفعل ما يهواه ، فيسب ويشتم ، ويتعاطى المنكرات ويرتكب الجنايات ، ويجاهر بالمعاصي ، ويعق والديه ، ويسيء إلى معلميه ، ولا يحترم من هو أكبر منه سناً وعلماً وفضلا ، وليست الحرية في خروج النساء متبرجات في الطرقات ، مبديات زينتهن لكل ناظر .

إن تلك الرذائل — هي الفوضى والهمجية ، والحرية المنكرة

والتردى فى الهاوية (وما أدراك ماهيه . نار حامية) ، وللوقاية منها — قامت السلطة الحاكمة : تقف حرية كل فرد إلى الحد الذى لا يسىء فيه إلى حرية الآخرين .

عباد الله :

إن الخروج على النظام ، ومخالفة الدين ، وانتهاك حرمة القانون — باسم الحرية — أمر يراه العقل سفها وخبالا ، ويراه الوطن فساداً واضمحلالا ، وتراه الأمة تفرقاً وانحلالا ، وهو محاربة لله ، ومن أسوأ حالا ، وأخسر مآلا ممن حارب الله تعالى .

ألا إن الحرية الحقة — هى أن يقول الانسان مايشاء ويفعل مايشاء ويتمتع بجميع حقوقه الشخصية ، فى حدود الدين والنظام ، وبذلك يكون محترماً حرية غيره ، فى غير ذلة وهوان ، فليس مبدأ إلا للواحد الديان ، والحرية بهذا المعنى شعار العزة ، وسلم المجد ، وأساس العمران ، وروح الأمن ، وعماد النظام ، وداعية الاستقلال ، وحليف السلام ، فى ظل تلك الحرية يأمن الانسان على نفسه ، ويصون عرضه ويحافظ على ماله ، وينفق منه فى سبيل الخير ، ويدافع عن الحق وعن الوطن ويكرم الجار ، ويعمر الديار ، ويصدر عنه حسن الآثار .

فى ظل تلك الحرية — يجد الانسان متعة الحياة النقية ، فى غير ضرر وإثم وضلال ، فما حرم الله شيئاً لضرره إلا أباح من نوعه ما يغنى عنه : حرم الزنا وشرع الزواج . وحرم الخمر وأباح العصير الطازج ، وحرم لحم الخنزير وأباح لحم الضأن . وحرم غصب ما بيد الغير ، وأباح شراءه ، وأخذه تبرعاً أو وراثة .

وفي ظل تلك الحرية يجد الانسان المنعة الصادقة حين يصلي خاشعاً لله ، وحين يهتم بأمر المسلمين مرضياً لمولاه ، وحين يجد يتيماً فيمسح دمعته ، ويقضي حاجته ، وييسر خاطره ، ويشرح صدره ، وحين يجد ملهوفاً فيغيثه ويرد لهفته ، أو مسكيناً فيعطيه ، ويدفع مسكنته ، أو أرملة فيقضي لها مصالحها ، ويواسيها ابتغاء وجه الله .

عباد الله :

احرصوا على الحرية لأنفسكم وأهليكم ووطنكم برفض الذل والهوان ، وفعل الخيرات وترك المنكرات ، وعدم اتباع الشهوات ، وبالاقتداء بسيد الأحرار ، رسولنا الكريم (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً).

روى المقدسي في كتاب الحجة على تاركي سلوك طريق المحجة عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به » .

٢٣ — سبيل الحرية وغايتها

الحمد لله : الملك القدوس ، الذى حبب بالحرية الحياة إلى النفوس ، وأشهد أن لا إله إلا الله ، زين البطولة فى قلوب الأحرار ، وحمى مناهج الحق بالأبطال الأخيار . وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله ، خير من دعا إلى العزة فى غير كبرياء ، وإلى الحرية فى نظام وعدل وصفاء ، اللهم صل وسلم على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه الأعزاء الذين غلظوا على الطغاة ولم يذلوا لغير الله ، فأعزهم سبحانه ومنحهم السعد والجاه .

أما بعد : فقد قال الله تعالى : (ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين) .

عباد الله :

المؤمن عزيز لا يخضع لغير الله ، ولا يلوذ إلا بباب من خلقه فسواه ، ولا يرضى أن يكون عبداً لذى سلطان ، أو جاه أو يسار ، والدنيا بأسرها لله الواحد القهار . نفسه أبية ، وعزيمته قوية ، وهمته علية ، وإرادته ماضية إلى الهدف الصالح ، والغاية النبيلة حكيم حازم يسعى إلى الوفاق بينه وبين مواطنيه بالمحبة والعدل ، والرحمة والوداد ، والتعاون معهم على الخير وقول السداد ، وحب الخير لهم كحبه لنفسه ، والحرص على إسعادهم ، وسلامة نفوسهم وأعراضهم وأموالهم ، ومن كان كذلك عاش حراً محبوباً ، لا تمتد إليه يد بأذى ولا تخدش له كرامة ولا تنفر منه النفوس ولا تضن عليه بخير ، وفاز بعاطر الثناء وحسن الجزا ، ولا ريب أن الأمة التى كل فرد فيها ذلك المؤمن ، هى أمة عامرة النواحى بالحرية ، سالمة من قيد الذل والعبودية . الاتحاد سياجها ، والأمن طيب حياتها ، والعدل حصانتها ، ليس لمستبد مكان فى نواحيها ،

ولا يطمع طامع في في استعمارها وإذلالها ، ومن حدثته نفسه بذلك لاقى رجالها أبطالا : يحرصون على الموت ، ويجودون بالأرواح وسيل الدماء أنهاراً في سبيل الحرية المقدسة وهم مطمئنون للفوز بخير غاية ، أجر الشهداء عند الله إذا لم يكن النصر في الحياة ، وفي سبيل التاريخ كثيرون من الأبطال حرصوا على الموت في سبيل الله ، وعاشوا أحراراً ، فوهبهم تبارك وتعالى الحياة طيبة كريمة .

فالأمة المؤمنة المتحدة ؛ التي يحمي كل فرد فيها حريته ، بالحرص على حرية غيره ، في استمساك بالدين ، ويأبى الضيم ولا يستكين لظالم ، ولا يذل لغاصب ، ويدفع من يريد احتلال وطنه أو حرمانه استقلاله ، هي أمة تبقى ما بقيت الحياة . عزيزة الجانب ، موفورة الكرامة ، رخاؤها عميم ؛ وخيرها عظيم ، وإذا أصيبت الأمة في إيمان أفرادها وأخلاقهم ودينهم ، فظلموا أنفسهم بالعصيان ، ومخالفة الديان ، تمزقت وحدتها ، وتفرقت كلمتها ، وغربت عنها شمس الحرية ووقعت في قبضة من طمع فيها من البغاة فأذاقها الهوان ، وجعل حياتها شقاء ، وعيشها بلاء وكبت شعورها ، وحرمها التعبير عن رأيها ، وأسرف في نهب خيراتها ، واستغلها كما تستغل السوائم وعاملها معاملة البهائم ، في ظلم وعدوان ، وإذلال وطغيان (وكذلك نولي بعض الظالمين بعضاً بما كانوا يكسبون).

ومن ذا الذي يرضى أن يعيش ذليلا ، وقد خلقه الله بالحرية عزيزاً ، ومن ذا الذي يرضى أن يكون في عداد الأموات : لا تسمع له كلمة ، ولا يحترم حاضراً وغائباً ويرى الخير ولا يستطيع نيله ، ويرمى بالشر ولا يستطيع أن يدفعه ؟ إن من رضي بتلك الحياة المرة ما استحق أن يكون إنساناً .

والمرء لا يموت إلا مره والموت خير من حياة مره

إن الحرية تكسب الذكر الجميل، والتاريخ الجليل، وتشرف الإنسان ما دام حياً، وترفعه باستغلالها في العمل الصالح عند الله مكاناً علياً، لذلك حرص عليها سلفنا الصالح، وبذلوا في سبيلها النفس والنفيس وقاوموا المستبدين، وحاربوا المستعبدين، ونفخوا من أرواحهم الباسلة في النفوس الضعيفة فجعل الله لهم لسان صدق في الآخرين.

عباد الله :

ارغبوا في الحرية، واحرصوا عليها بالإيمان بالله، وبتقوى الله، وبرفض الذل إلا لله، واتحاد صفوفكم، وجمع كلمتكم في سبيل المصلحة العامة، وانصروا وطنكم ينصركم الله (لا إله إلا هو العزيز الحكيم).

روى الطبراني عن أبي ذر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من أعطى الذلة من نفسه طائعاً غير مكره فليس منا».

٣٤ — الشكر لنعمة النصر

الحمد لله : الذى قدرته فوق كل قدرة ، وأشهد أن لا إله إلا الله : من نصر دينه نصره ورفع قدره ، وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله ، خير هاد للخلق ، وأجل قائد نصر الله به الحق ، اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ، جند العدل والسلام .

أما بعد فيأيها المسلمون :

اجتمع الأحزاب من اليهود وقريش وغطفان ، ومن أعانهم من الكفار ، على غزو المدينة المنورة ، وحرب الرسول وصحابته الكرام البررة .

ولما سمع رسول الله ﷺ بما أجمعوا أمرهم عليه ـ حفر الخندق حول المدينة ، وقاية للمسلمين وفى ذلك دليل على أن الاحتياط فى الأمور ، والأخذ بالأسباب لبلوغ المراد واتخاذ الخنادق ووسائل الوقاية ـ نظام مشروع يرضى الله تبارك وتعالى ، ولقد جاء أولئك الأحزاب من أعلى الوادى(١) وأسفله ، وأحاطوا بالمدينة ، وحاصروها ، وعظم عند ذلك البلاء ، واشتد الخوف ، وظن المؤمنون كل ظن ، وكانت الحال بالمدينة كما صورها القرآن الكريم . قال تعالى : (إذ جاءوكم من فوقكم ومن ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر(٢) وتظنون بالله الظنونا هنالك ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا) .

---

(١) الوادى : المنفرج بين الجبال أو الآكام يكون منفذا للسيل .

(٢) الحناجر : جمع حنجرة وهى منتهى الحلقوم وبلغتها القلوب من شدة الخوف .

وبلغ من شدة الحال على المؤمنين أن أخذ المنافقون يثبطون همتهم، ويضعفون قوتهم : (وإذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض ماوعدنا الله ورسوله إلا غروراً . وإذ قالت طائفة منهم يا أهل يثرب — يا أهل المدينة — لا مقام لكم فارجعوا — أى إلى الكفر ، حتى تسلموا من عدوكم ، فإنه يرضى حينئذ عنكم — ويستأذن فريق منهم النبى — فى العودة من المعسكر — يقولون إن بيوتنا عورة — مكشوفة للعدو ، غير حصينة — وما هى بعورة — بل هى حصينة — إن يريدون إلا فرارا)

وأقام الرسول ﷺ والمؤمنون الصادقون فى المعسكر، بقوة الإيمان والتوكل على العزيز المنان ، قد صمموا على الدفاع ، والقتال لآخر قطرة من دمهم : (ولما رأى المؤمنون الأحزاب — أحلاف الشر الغادرين ، مقبلين على القتال ، يتوقدون حماسة ، وحبا فى الانتقام — قالوا هذا ماوعدنا الله ورسوله — : من نزول الشدائد ، ووقع المحن — وصدق الله ورسوله — فى أن النصر للمؤمنين وأن العاقبة للصابرين — وما زادهم — هول ما رأوا — إلا إيمانا — بالله — وتسليما — : لما قدره وقضاه).

ودعا رسول الله ﷺ(١) فقال : « اللهم منزل الكتاب، ومجرى السحاب، وهازم الأحزاب . اهزمهم وانصرنا عليهم » .

ولم يكن بين المؤمنين وبين الأحزاب قتال إلا مراماة بالنبل ، ثم اقتحم عمرو بن ود العامرى بفرسه ناحية ضيقة من الخندق ، فقتله سيف الله الغالب ، على بن أبى طالب ، كذلك سجل التاريخ بطولة الزبير بن العوام ، بقتله نوفل بن عبد الله بن المغيرة ، حين اقتحم الخندق ، ورجعت بقية الخيول التى حاولت اقتحام الخندق منهزمة .

---

(١)رواه البخارى ومسلم .

رمى الصحابي الجليل سعد بن معاذ بسهم فأصابه ، وقطع منه الأكحل ، وهو عرق الحياة ، : منه في كل عضو شعبة وفرع ، وقد مات رضي الله عنه شهيداً ، بعد مدة من إصابته ، وصدق الله العظيم إذ قال : (من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى (١) نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا) .

وانتهى أمر الأحزاب بأن أرسل الله عليهم ريحاً قلعت خيامهم وكفأت قدورهم ، وهيجت خيولهم ومواشيهم ، وسفت التراب عليهم ، ورمتهم بالحصى ، كما أرسل عليهم سبحانه جنوداً من الملائكة أرعبتهم وأفزعتهم إذ سمعوا تكبيرهم في أرجاء معسكرهم ، وقعقعة سلاحهم ، وإن لم يروهم ، فارتحلوا هاربين في ليلتهم ، وتركوا ما استثقلوه من متاعهم ، وصدق الله وعده ، ونصر عبده ، وأعز جنده ، وهزم الأحزاب وحده : (ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قوياً عزيزاً) .

وقد ذكر الله المؤمنين بنعمة سلامة مدينتهم ، وبقائها لهم في أيديهم ، وحفظ أموالهم وأعراضهم ، ورجوع أعدائهم إلى بلادهم بالخيبة والخسران ، وفي قلوبهم من الحسرة على ما فقدوا مثل النيران ، فقال تعالى في القرآن الكريم : (يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحاً وجنوداً لم تروها وكان الله بما تعملون بصيراً) .

وما أشبه الليلة بالبارحة : جاءت الأحزاب من إسرائيل والإنكليز والفرنسيين مدينة بورسعيد ، متعاونين على الغدر والعدوان ، فثبت

---

(١) مات أو قتل في سبيل الله

أملها لهم ، حتى انتهى أمرهم بالرجوع إلى بلادهم خائبين خاسرين ، باللعنة من الارض والسماء مشيعين ، وكفى الله مصر القتال ، وبلغها الآمال ، فوجب علينا الشكر لله تعالى من أجل تلك النعمة ، بدوام طاعته ، وبذل المال والمعونة والقوة فى سبيل عمارة بورسعيد ؛ التى وقت البلاد ، فكتب الله لها التمجيد .

والنسع فى مضاعفة اتحادنا وتكتلنا ، واستمساك كنا بحقنا ، وتعاوننا على الصالح العام والاستعداد بالقوة على الدوام ، ولنترك الانانية ، وليشعر كل منا مواطنيه بحب الخير لهم كحبه لنفسه ، حتى يرحم قوينا ضعيفنا ، وسليمنا مريضنا ، وغنينا فقيرنا ، وكبيرنا صغيرنا ؛ وحتى يترك التاجر الجشع والطمع وحتى لا نزدحم على السلع تزاحماً يحرم بعضنا منها .

أيها المسلمون :

اتقوا الله واشكروا له ، لنصرنا باتباع هذه التعاليم الطيبة ، وليكون معنا على الدوام (إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون) .

روى مسلم فى صحيحه عن أبى يحيى صهيب بن سنان رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله له خير ، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن ، إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له ، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له) .

٣٥ - الجهاد فى سبيل الحق المقدس

الحمد لله : العلى القادر ، وأشهد أن لا إله إلا الله العزيز القهار ، وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله ، خير من جاهد لإعلاء كلمة الحق ، وإقامة دعائم العدل بين الخلق ، اللهم صل وسلم على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه ، الذين جاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله (أولئك يرجون رحمة الله ، والله غفور رحيم) .

أما بعد : فقد قال الله تعالى : (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين) .

عباد الله :

من فضل الله على العالمين — شرعه الجهاد ليطهر الأرض من المفسدين ، وقهر الطغاة الظالمين ، وتمكين أهل الحق من إظهار حقهم ، وإعلان عبادة ربهم (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع (١) وبيع (٢) وصلوات (٣) ومساجد (٤) يذكر فيها اسم الله كثيراً ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز) .

يا معشر المسلمين :

تعاونت عوامل البغى والطغيان على فلسطين وفيها المسجد الأقصى أولى القبلتين ، وثالث الحرمين ، ومنتهى إسراء خاتم النبيين ﷺ : تعاون الظالمون ، ومكنوا الصهيونيين من ذلك الجزء من حمى الاسلام ، ولم

---

(١) هى البيوت التى ينقطع فيها الرهبان للعبادة .
(٢) هى الكنائس للنصارى (٣) هى المعابد لليهود (٤) أى للمسلمين .

يعتبثوا بجهاد الحجة والبيان ، ولم يذعنوا لصوت الحق ، يظن أن فلسطين — بذل المسلمون فيها النفوس الغالية ، والدماء الزاكية .

يا أبناء العروبة والإسلام :

لقد ناضلتم عن حقكم بالحجة والبرهان ، حتى تبين الناس وجه الحق سافراً ، ولكن دسائس الصهيونية ، وفتنها وأموالها قد استطاعت أن تجلب على هذا الحق المقدس بخيلها ورجلها ، فعميت عنه العيون وصمت الآذان ، والتوت الأعناق، فجاهدوا في سبيل الله لإنقاذه وحمايته وليبذل كل منكم من ماله وذات نفسه — ما يرد فلسطين ، ويرد عنها كيد الكائدين ، وعدوان المعتدين والله تعالى يقول . (إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا (١) وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون) .

أيها المسلمون :

لا يليق بالعرب الأباة الأماجد ، والمؤمنين بالحق المبين أن يخروا أمام الظلم ساجدين ، أو يقبلوا الذل صاغرين (يأيها الذين آمنوا خذوا حذركم فانفروا ثبات (٢) أو انفروا جميعاً) (٣) .

يا أبناء العروبة والإسلام .

اغضبوا على أعداء الحق وأعدائكم ، لا على المجتمعين بكم ، الذين ظلهم حتى الموالين عليكم (وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا

---

(١) لم يشكوا (٢) جماعات .
(٣) أي بكليكم مجتمعين .

اعتدوا إن الله لا يحب المعتدين) واستمعوا وأنصتوا لنبأ عظيم ، نبأ به رسولنا الكريم — تزدادوا قوة وإيماناً .

روى البخارى ومسلم : عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود حتى يختبىء اليهودى وراء الحجر والشجر ، فيقول الحجر والشجر : يا مسلم هذا يهودى خلفى تعال فاقتله ، إلا الغرقد فإنه من شجر اليهود (١) » .

وروى البخارى ، عن أبى هريرة : رضى الله عنه — أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : (إن فى الجنة مائة درجة . أعدها الله للمجاهدين فى سبيل الله . ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض) .

وروى الحاكم ، عن عمران بن حصين : رضى الله عنه — أن رسول الله صلى الله عليه وسلم — قال : « مقام الرجل فى الصف فى سبيل الله — أفضل عند الله من عبادة الرجل ستين سنة » .

---

(١) نوع من شجر الشوك ينبت فى بلاد الشام عند بيت المقدس .

٣٦ ـ ادفع بالتي هي أحسن

الحمد لله : هدى بالقرآن إلى أشرف الخصال، وأشهد أن لا إله إلا الله، يرفع القدر بمكارم الأخلاق وصفات الكمال ، وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله ، خير من عفا وأحسن إلى من أساء . اللهم صل وسلم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه ، ذوى القلوب العامرة بالاخلاص والمحبة والصفاء .

أما بعد : فقد قال الله تعالى : (ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي(١) حميم . وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها(٢) إلا ذو حظ(٣) عظيم) .

أيها المستمع لذلك القول الالهى الكريم :

العفو عن سيئة عدوك حسنة ، وأحسن منها أن ترسل إليه هدية ، أو تدعو له بالهداية ، فإذا فعلت ذلك ـ انقلب عدوك صديقاً لك ، والخير مع الصداقة ، والشر مع العداوة ، لذلك أمر الله تعالى بمقابلة السيئة بأحسن الحسنتين ، وما يقدر على التحلى بهذه الخصلة الحميدة إلا الذين صبروا ، ومن له نصيب عظيم من السعادة والثواب والفضائل النفسية .

يأيها المسلم :

لقد اقتدى أسلافك بالنبي ﷺ ، و اهتدوا بهذا الهدى القرآني ـ

---

(١) صديق قريب   (٢) يعطاها .

(٣) نصيب والمراد نصيب من الخير .

وتأدبوا بذلك الأدب الاسلامي ، فكانوا يقابلون السيئة بأحسن منها ، فعاشوا قوة متماسكة ، كالجسم الواحد، إذا اشتكت عينه ـ اشتكى كله ، وإذا اشتكى رأسه ـ اشتكى كله ، فلم ينل منهم العدو نيلا ، ولم يجد اليهم سبيلا .

حدث خلاف بين الامام الحسين وبين أخيه لأبيه ـ محمد بن الحنفية فكتب محمد إلى الحسن يقول له : سلام عليك ، أما بعد: فإن لك فضلا لن أدركه ، وشرفا لن أناله : أبونا هو لا تفضلني ولا أفضلك فيه ، وأمي امرأة من بني حنيفة ، وأمك فاطمة بنت رسول الله ﷺ ، ولو كان ملء الأرض نساء مثل أمي ماوفين بأمك ، فإذا جاءك كتابي هذا فالبس رداءك ، والبس نعليك ، وتعال إلى لتترضاني وإياك أن أسبقك إلى هذا الفضل ، الذي أنت أولى به مني . وأساء رجل إلى الحسن البصري ، فبعث إليه الحسن هدية من الرطب ومعها كتاب ، جاء فيه قوله : بلغني أنك قد أهديت إلى شيئاً من حسناتك ، فأحببت أن أكافئك على هديتك . وأساء رجل إلى الشعبي في جمع من أتباعه، فأجابه الشعبي بكلمة رزينة هادئة : قال له : يا هذا إن كنت صادقا فغفر الله لي وإن كنت كاذبا فغفر الله لك .

أيها المسلم :

(أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده) . وادفع السيئة بالتي هي أحسن ، وخصوصا إذا كانت من أقاربك، فإحسانك إليهم إحسان إلى نفسك ، وإساءتك إليهم إساءة إليها ، وعن أبي هريرة(١) رضي الله عنه

---

(١) رواه مسلم .

أن رجلا قال : يارسول الله ، إن لى قرابة أصلهم ويقطعونى ، وأحسن إليهم ويسيئون إلى ، وأحلم عنهم ويجهلون على ، فقال : لئن كنت كما قلت فكأنما (١) تسفهم المل - فكأنما تطعمهم الرماد الحار - ولا يزال معك من الله ظهير (٢) عليهم مادمت على ذلك » .

يا عباد الله :

تدرعوا بالصبر وتجملوا بالحلم ، وقابلوا السيئة بالتى هى أحسن ، لئلا يكون بينكم عداء ، ولتحيوا فى ود وصفاء ، وتفوزوا يوم القيامة بحسن الجزاء .

روى أبو داود والترمذى وابن ماجه عن معاذ بن أنس رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « من كظم غيظا وهو قادر على أن ينفذه دعاه الله سبحانه وتعالى على رؤوس الخلائق يوم القيامة حتى يخيره من الحور العين ما شاء » .

---

(١) هو تشبيه لما يلحق أولئك الأقارب من الإثم بما يلحق آكل الرماد الحار من الألم
(٢) معين

٢٧ — المجتمع الآمن السعيد

الحمد لله : في طاعته العزة والسيادة ، وأشهد أن لا إله إلا الله : من استقام بلغه مراده ، وأشهد أن سيدنا محمداً ، رسول الله ، رغب الناس في المحبة والمودة ، ليفوزوا بالسعادة ، اللهم صل وسلم على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه ، الذين اهتدوا بهديه « فكانوا رحماء بينهم » ، فأسعدهم الله وأعزهم ، (ويدخلهم الجنة عرفها لهم) .

أما بعد : فقد قال الله تعالى : (إنما المؤمنون إخوة) وقال الرسول صلوات الله وسلامه عليه (١) : « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً » .

ذلك هدى الإسلام ، لسعادة الفرد والجماعة ، اتباعه طاعة ، وهو طريق يبلغ به المجتمع الهناء والعز والمجد والرفعة ، وغاية ما يصبو إليه من سعادة ، ولا عجب فإن الأخوة إذا تحققت في مجتمع عمرت قلوب أفراده بالمحبة والعطف ، وانتشرت روح التعاون والمساعدة بينهم ، وجعلتهم كالجسم الواحد : يعين قويهم ضعيفهم ، ويواسي غنيهم فقيرهم ويعطف صحيحهم على مريضهم ، ولا يطغى غني ولا يبغي قوي ولا يخذل الأخ أخاه ، ولا يتجبر حاكم ، ولا يهان فقير ولا يتعاظم أحد على أحد ، ولا يسخر أحد من أحد ؛ ولا يوجد بينهم تقاطع ولا حقد ، ولا خصام ، ولا بغضاء ولا حسد ، صدور الجميع سليمة ، وقلوبهم رحيمة ، وفي ذلك الأمن والعزة ، والقوة والسعادة ، والخير العظيم .

---

(١) رواه البخاري ومسلم .

أيها المؤمنون :

اعملوا على أن يكون مجتمعكم ذلك المجتمع الآمن السعيد العزيز القوى الفائز بالخير ، فطهروا قلوبكم من الحقد والحسد واملأوها بالمحبة والرحمة والصفاء ، وكونوا إخواناً صادقين ، وتواصوا بالحق وبالصبر ، وتناصحوا ، وأغيثوا الملهوف ، ومروا بالمعروف ، وانهوا عن المنكر ، وافعلوا الخير ، وكونوا لليتيم أباً وللضعيف عوناً ، وانصروا المظلوم ، وأعينوا المحتاج ، وأرشدوا الضال ، واعملوا على ألا يكون بينكم مستبد جبار ولا خائن غدار ، وأنصفوا ، واعدلوا — تفوزوا بالحياة الطيبة ، وحسن العاقبة .

عباد الله :

شرفوا الوجود ، بالمجتمع الإسلامي من جديد ، فتوادوا ، وتراحموا وتعاطفوا (وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون) .

روى البخارى ومسلم عن النعمان بن بشير رضى الله عنهما : أن رسول الله ﷺ قال : « مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر (١) والحمى » (٢) .

وروى أبو الشيخ ، عن ابن عمر : رضى الله عنهما — أن رسول الله ﷺ — قال : « أحب الأعمال إلى الله عز وجل سرور تدخله على مسلم ، أو تكشف عنه كربة ، أو تطرد عنه جوعاً ، أو تقضى عنه ديناً » .

---

(١) لأن الألم يمنع النوم : (٢) لأن عدم النوم من الألم يثيرها .

٣٨ — التحذير من شهادة الزور

الحمد لله : العليم الخبير ، وأشهد أن لا إله إلا الله (يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور) وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله ، خير من دعا إلى الصدق واتباع الحق ، اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ، سادة العباد بالصدق فى الأقوال والأفعال ، والبعد عن الباطل والضلال (أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده) .

أما بعد : فقد قال الله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين إن يكن غنياً أو فقيراً فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا وإن تلووا أو تعرضوا فإن الله كان بما تعملون خبيراً) .

أيها المؤمنون :

فى تلك الآية الكريمة — يأمركم الله تعالى بالمواظبة على العدل والاجتهاد فى إقامته ، وأداء الشهادة لوجه الله ، ولو على أنفسكم أو والديكم وأقاربكم، وينهاكم عن عدم أداء الشهادة ، وعن أدائها زوراً ، ميلا إلى الغنى لغناه ، أو رحمة بالفقير لفقره فالله أولى بالنظر إلى حال الغنى والفقير منكم وأعلم بمصالحهما . وينهاكم عن اتباع الهوى ، الذى فيه العدول عن الحـــق ، والانصراف عنه ، ويقول لكم إن تلووا ألسنتكم عن شهادة الحق ، أو تعرضوا عن أدائها — فإن الله خبير بما تعملون ، فيجازيكم عليه بما أنتم أهله .

فإذا دعى أحدكم للشهادة فليشهد كما عاين ، لنصرة الحق ، وإنصاف المظلوم ، ابتغاء مرضاة الله تعالى (ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فإنه آثم قلبه والله بما تعملون عليم) وقال الرسول ﷺ (١) : « من كتم شهادة إذا دعى إليها كان كمن شهد بالزور » .

عباد الله :

إن من أطاع الله فشهد بالحق — تنزه عن شهادة الزور ، التى قال فيها الرسول ﷺ (٢) : « عدلت شهادة الزور الإشراك بالله ، عدلت شهادة الزور الإشراك بالله ، عدلت شهادة الزور الإشراك بالله ، ثم قرأ : فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور حنفاء لله غير مشركين به » .

فمن اجتنب شهادة الزور — وقى نفسه الخسران والهوان ، والسقوط فى النيران ، وإغضاب الواحد الديان ، وقد قال صلوات الله وسلامه عليه (٣) : « لن تزول قدم شاهد الزور حتى يوجب الله له النار » .

ومن شهد بالحق كما رأى لا لغرض دنيوى ، وبلا فرق بين القريب والبعيد ، والصديق والعدو ، والغنى والفقير ، وذى الجاه ومن لا جاه له — فاز برضا الله ، وبجله الحق وأعلاه .

---

(١) رواه الطبرانى فى الكبير والأوسط .

(٢) روى أبو داود عن خريم بن فاتك رضى الله عنه قال صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح ، فلما انصرف قام قائما فقال : عدلت شهادة الزور الإشراك بالله — ثلاث مرات — إلى آخر الحديث المذكور والرجس : النجس القذر ، والأوثان : الأصنام التى كانت تعبد من دون الله ، وحنفاء جمع حنيف وهو المائل عن العقائد الزائفة .

(٣) رواه ابن ماجه والحاكم .

أيها المسلم :

شاهد الزور - أساء إلى نفسه : باع آخرته بدنيا غيره ، وفقد مروءته ، وأضاع كرامته ، وسجل على نفسه خزياً لا يمحى ، وعاراً لا يزول ، وألقى بنفسه فى النار ، واستحق إهانة العزيز القهار (ومن يهن الله فما له من مكرم إن الله يفعل ما يشاء) . وأساء إلى من شهد له : أعانه على الظلم ، وأوقعه فى الإثم ، وصيره ذليلا ، يوم الفزع الأكبر ، بين يدى الجبار ، الذى لا يرحم من ظلم (وما ربك بظلام للعبيد) ، وأساء إلى من شهد عليه . أهانه وأضاع حقه . وظلمه ، وخذله وهو فى حاجة إلى الناصر والمعين ، وأساء إلى القاضى : أتعبه ، وأضاع وقته ، وطمس عليه معالم الحقيقة ، وأساء إلى النبى ﷺ : خالف أمره ، ورفض هديه ، متبعاً هوى نفسه (ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله إن الله لا يهدى القوم الظالمين) .

أيها العاقل :

اتق الله ، واحذر شهادة الزور ، واشهد بما رأيت (ولا تقف (١) ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا (٢)) .

روى البخارى ومسلم عن أبى بكرة نفيع بن الحارث الثقفى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ألا أنبئكم

---

(١) ولا تتبع ما ليس لك به علم من أمور الدين والدنيا ، فإن ذلك يؤدى إلى التخبط وإلى الضلال .

(٢) أى كل عضو من هذه الأعضاء مسئول عنه صاحبه ، أى عما فعله به .

بأكبر الكبائر — ثلاثاً — (١) قلنا بلى يارسول الله ، قال : الإشراك بالله ، وعقوق الوالدين ، وكان متكئاً فجلس فقال : ألا وقول الزور وشهادة الزور ، فما زال يكررها حتى قلنا(٢) ليته سكت » .

وروى الإمام أحمد ، عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : « سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : من شهد على مسلم شهادة ليس لها بأهل — فليتبوأ مقعده من النار » .

---

(١) أى أعاد قوله : « ألا أنبئكم بأكبر الكبائر » ثلاث مرات ، والكبيرة هى الذنب الذى ورد فيه وعيد شديد فى الكتاب أو فى السنة ، وقال إمام الحرمين : كل جريمة تؤذن بقلة اكتراث مرتكبها بالدين ورقة الديانة .

(٢) أى شفقة عليه صلى الله عليه وسلم ، وكراهية لما يزعجه ، وخشية أن يجرى على لسانه مايوجب نزول البلاء عليهم .

٣٩ — الأمن ومقاومة العابثين به

الحمد لله العزيز المؤمن ، وأشهد أن لا إله إلا الله . احب الناس أن يعيشوا فى سلام وأمن ، وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله ، فى اتباعه استتباب الأمن وطيب الحياة ، اللهم صل وسلم على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه ، الذين سعوا فى حفظ الأمن ونشره : (أولئك لهم الأمن وهم مهتدون) .

أما بعد : فقد قال الله تعالى : (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين(١) من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً يعبدوننى لا يشركون بى شيئاً ، ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون) .

كان المؤمنون بعد هجرتهم ، مع النبى صلى الله عليه وسلم ، إلى المدينة — يبيتون ويصبحون فى أسلحتهم ، خوفاً من مباغتة المشركين لهم ، فنزلت هذه الآية الشريفة ، تبشيراً ، لهم بثلاثة أمور ، جعلها سبحانه وتعالى جزاء العمل الصالح المنبعث عن الإيمان ، وهى جعلهم خلفاء لله فى عمارة الكون ، وتمكين دينهم الذى ارتضى لهم ، وتبديلهم بعد الخوف أمناً وطمأنينة ، وما أجمل الأمن وما أحلاه ، فى

---

(١) كبنى إسرائيل واليونان والرومان وغيرهم .

استقراره — يندفع الإنسان نحو العمل لدنياه وأخراه ، صافى القلب متجهاً إلى الله ، راجياً خير نفسه ، ونفع سواه :

أيها الناس :

إن الخوف يجعل حياة الأمة مضطربة مرة مظلمة، تافهة لقلة الإنتاج أو انعدامه فيها ولنتصور حياة خائف يهدده عدوه : إنه يمشى خائفاً يترقب ، ولا ينام ملء جفونه ، ويرى فى جميع أحواله ، حتى حال الأكل والشرب ، غير مستريح البال فى قلق واضطراب ، فما قيمة تلك الحياة ، وما أثرها فى الإنتاج والأعمال ، وتحقيق الآمال . لمصلحة الفرد ونفع المجتمع. لذلك كان الأمن للانسان كالعافية للابدان .

وإن الناس إذا أمنوا على أنفسهم وأموالهم وأعراضهم وأهليهم — وانصرفوا إلى مصالحهم وشئونهم وأدوا إلى وطنهم ما به يسعد ويسود ، وحققوا جليل المشروعات وعظيم الأعمال وكبير الآمال .

وفى ظلال الأمن - توفر لمصلحة الأمة ، ولتنفيذ مشاريعها العمرانية أموال طائلة ، تنفقها الحكومة فى محاربة الإجرام والمجرمين ، ويصرف جهد الحكام فيما يعود على الأمة بالنفع العام .

فما يكثر الخير ، ويزيد الرزق ، ويعظم الإنتاج ، إلا مع الأمن والاطمئنان . ولذلك من الله به ، وجعله معادلا للطعام الذى تقوم به الحياة . وقال جل شأنه داعيـاً إلى الشكر له بعبادته (١) :

---

(١) أى لتعود قريش رحلة الشتاء إلى اليمن ، ورحلة الصيف إلى الشام ، فى كل عام ، للتجارة ، ويستعينوا بهما على الإقامة بمكة، لخدمة البيت الحرام ـفليعبدوا رب هذا البيت ، الذى رزقهم ، ولم يبلهم بالجوع ، وطمأن قلوبهم من أثر الخوف.

(لإيلاف قريش، إيلافهم رحلة الشتاء والصيف فليعبدوا رب هذا البيت الذى أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف)، وقال (١) الرسول صلى الله عليه وسلم : «من أصبح آمناً فى سربة (٢)، معافى فى بدنه، عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها» (٣).

عباد الله :

الأمن نعمة الله عظيمة، يديمها الشكر لله بطاعته على الدوام، وتنفيذ الحاكم العقوبة المكتوبة على من يزيلها، وينشر الرعب بين الأنام. قال تعالى : (إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الأرض فساداً أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف (٤) أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزى فى الدنيا ولهم فى الآخرة عذاب عظيم) وإنها لعقوبة تنخلع لها القلوب، وجزاء عادل كتبه الحكيم العليم على أولئك الأشرار الذين ينسلخون من الانسانية الرحيمة، إلى الوحشية القاسية الذميمة، فيعبثون بالأمن، ويزعزعون أركانه، ويسعون ليهدموا بنيانه ويروعون الآمنين المطمئنين، الوادعين المسالمين، فيخطفون الأطفال ويقتلون الرجال، ويسلبون الأموال ويهلكون الحرث (٥) والنسل (٦) وينتهكون الأعراض، ويبطشون بالضعفاء، ويقطعون الطرق،

---

(١) رواه الترمذى.

(٢) نفسه (٣) جميع ما فيها.

(٤) تقطع أيديهم اليمنى وأرجلهم اليسرى.

(٥) الزرع (٦) الولد.

لا يحترمون القانون ، ولا يخافون رب العالمين ، الذى وعد بالأمن المؤمنين الصالحين ، وقضى بنكد الحياة على المجرمين ، وحكم عليهم - فيما حكم - بالنفى من الوطن (١) الذى دنسوه ، وأذاعوا الخوف فيه ، إلى وطن آخر ، فيه يحبسون ، وأعد لهم العذاب العظيم يوم الدين .

ولابد من تعاون الحاكم والمحكوم ، على مقاومة أولئك العابثين بالأمن ومحاربتهم ، ليزول شرهم ، ولعلهم يقلعون عن إجرامهم ، ويتوبون من ذنبهم ، ويحيون مع الناس فى أمن وهناء ، وخير وصفاء .

أيها المؤمنون :

حافظوا على الأمن ، بالإحسان فى القول والفعل ، ونبذ الخصام ، ومعاونة الحكام ، بالتبليغ عن الظالمين العابثين بالأمن ، وبالشهادة عليهم ، وعدم اكرامهم ، ولا تخشوا الا الله ، الذى لا يكون الا ما قضاه ، ولا خير الا فى رضاه ، لتحيوا حياة طيبة ، وتفوزوا بحسن العاقبة .

روى أبو داود والترمذى والنسائى عن أبى بكر الصديق رضى الله عنه قال : « يأيها الناس انكم تقرءون هذه الآية ، (يأيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم) ، وانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ان الناس اذا رأوا الظالم فلم

---

[١] الوطن : مكان الإنسان ومقره .

يأخذوا(١) على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه » .

روى أبو الشيخ ، أن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال الله تبارك وتعالى (وعزتى وجلالى لانتقمن من الظالم فى عاجله وآجله ، ولانتقمن ممن رأى مظلوما ، فقدر أن ينصره فلم يفعل) .

(١) الأخذ على يد الظالم : منعه من الظلم ، ومن الظلم — العبث بالأمن ، ومما يتحقق به منع الظالم من ظلمه — تبليغ الحاكم المتعاون مع الحكوم على منعه ، والشهادة عليه عنده وفى ذلك نصر للمظلوم ووقاية من اثم خذلانه الذى به انتقام الله أعاذنا الله منه.

٤٠ — الترغيب فى الصــــدق

والترهيب من الـكذب

الحمد لله : جعل الصدق فضيــلة ، والـكذب رذيلة ، وأشهد أن لا إله إلا الله ، بالصدق يعلى الأقدار ، وينجى من النار ، وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله ، الصادق الأمين ، ذو الخلق العظيم ، والقلب السليم ، اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الصادقين المـكرمين .

أما بعد : فالصدق كمال وجمال ، والـكذب قبح ونقص ، والصدق بركة ومسرة ، والـكذب خسران وحسرة .

الصادق بين الناس إن أخبر صدقوه ، وإذا وعد اطمأنوا إلى وفائه بوعده ، وإذا رأوه انشرحت صدورهم وإذا تحدث أقبلوا إلى حديثه باهتمام ، وتلك عظمة يريدها فى الدنيا العاقل الـكريم ، والصادق عند الله مغفرة وأجر عظيم .

وكفى بالصدق شرفاً أنه وصف سادة الخلق الأنبياء والمرسلين ، وجميع أتباعهم الكرام المبجلين ، وكفى بالـكذب ذما أنه من أمارات (١)

---

(١) عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « آية المنافق ثلاث : إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا اؤتمن خان » رواه البخارى ومسلم ؛ وزاد مسلم فى رواية له : وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم

المنافقين ولا يليق(١) بغير الكافرين . وقالت عائشة أم المؤمنين(٢) ماكان من خلق أبغض إلى رسول الله من الكذب ، ما اطلع على أحد من ذلك بشيء فيخرج من قلبه حتى يعلم أنه قد أحدث توبة » .

لذلك قال الله تعالى : (يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين) .

ويوصى الاسلام أن نغرس فضيلة الصدق فى نفوس الأطفال حتى يشبوا عليها ، وقد ألفوها فى جميع الأحوال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم(٣) : « من قال لصبى : تعال ، هاك — أى خذ — ثم لم يعطه فهى كذبة » .

والإسلام الذى أباح الترويح عن القلوب لم يرض وسيلة لذلك إلا فى حدود الصدق ، حتى لا يكون حزن ولا عداوة ، كما هى نهاية الكذب فى المزاح قال رسول الله صلى الله عليه وسلم(٤) : « ويل للذى يحدث بالحديث ليضحك منه القوم فيكذب ، ويل له ، وقال صلوات الله

---

(١) تدبر قوله تعالى : (إنما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله وأولئك هم الكاذبون) وقوله صلى الله عليه وسلم : « يطبع المؤمن على الخلال كلها إلا الخيانة والكذب » رواه الإمام أحمد .

(٢) رواه الامام أحمد ، وفى رواية ابن حبان عنها ، قالت رضى الله عنها : « ما كان من خلق أبغض إلى رسول الله من الكذب ، ولقد كان الرجل يكذبه عنده الكذبة فما يزال فى نفسه ، حتى أنه قد أحدث فيها توبة » .

(٣) رواه الامام أحمد .

(٤) رواه الترمذى .

وسلامه عليه(١) « أنا زعيم — ضامن وكفيل — ببيت في وسط الجنة لمن ترك(٢) الكذب وإن كان مازحاً » .

ومن الكذب مدح الظالمين بالعدالة ، والجبناء بالشجاعة ابتغاء عرض من الدنيا زائل حقير ، ولذلك قال أبو هريرة رضى الله عنه(٣) « أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نحثو — نقبض ونرمى — فى وجوه المداحين(٤) التراب » .

والمسلم لا يكذب فى تجارته ولا صناعته ولا حرفته ، ولا حين يعتذر عن خطأ وقع ، فراراً من عواقبه ، فى صدقه ربحه وغفرانه زلته : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم(٥) : « تحروا الصدق وإن رأيتم أن الهلكة فيه ، فإن فيه النجاة » وقال صلوات الله وسلامه عليه(٦)

---

(١) رواه البيهقى .

(٢) وروى الإمام أحمد أنه صلى الله عليه وسلم قال : « لا يؤمن العبد الإيمان كله حتى يترك الكذب فى المزاح ، والمراء — أى الجدل — وإن كان صادقاً » .

(٣) رواه الترمذى .

(٤) هم الذين اتخذوا مدح الناس عادة يستأكلون بها الممدوح ، فأما من مدح على الأمر الحسن ، والفعل المحمود ، ترغيباً فى أمثاله ، وتحريضاً للناس على الاقتداء به ؛ فليس بمداح ؛ ويخرج المسلم من تبعة الملق والمبالغة بتفهم ممدوحه ؛ فلا يدفعه إلى العجب والكبرياء ، إذا اتبع هدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ قال أبو بكرة رضى الله عنه : (أثنى رجل على رجل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال له : « ويحك — رحمة لك — قطعت عنق صاحبك — قالها ثلاثاً — ثم قال : من كان مادحاً أخاه لا محالة فليقل : أحسب فلاناً ؛ والله حسيبه ؛ ولا يزكى على الله أحد ؛ أحسب فلاناً كذا وكذا ؛ إن كان يعلم ذلك منه » رواه البخارى .

(٥) رواه ابن أبى الدنيا .

(٦) رواه الإمام أحمد .

« كبرت خيانة أن تحدث أخاك حديثاً هو لك مصدق وأنت له كاذب » وقال عليه الصلاة والسلام(١) : « إذا كذب العبد تباعد الملك عنه ميلاً من نتن ما جاء به » .

والكذب على دين الله ، كتحليل الحشيش وغيره مما حرم الله ، من أقبح أنواع الكذب ، هو منكر في حقيقته ، سيء في نتيجته ، هو إبعاد عن الدين ، وإغضاب لرب العالمين ، الذي قال في كتابه المبين : (ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى إلى الإسلام والله لا يهدي القوم الظالمين) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم(٢) : « إن كذباً على ليس ككذب على أحد فمن كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار » .

ومن حرص على الصدق في قوله — حبب إليه الحق ، فحرص على صلاح عمله ، وفي ذلك الخير كله : قال الله تعالى : (يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديداً . يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما) .

أيها المسلمون :

لعلو قدركم ، وحسن حالكم ، وخير دنياكم وآخرتكم اتقوا الله واصدقوا إذا حدثتم ، واحذروا الكذب : (ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب إن

---

(١) رواه الترمذي .
(٢) رواه البخاري .

الذين يفترون على الله الكذب لايفلحون ، متاع(١) قليل ولهم عذاب أليم) .

روى البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي عن ابن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : (عليكم بالصدق فإن الصدق يهدى(٢) إلى البر(٣) والبر يهدى إلى الجنة ، وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً ، وإياكم والكذب فان الكذب يهدى الى الفجور (٤) وان الفجور يهدى الى النار ، وما يزال العبد يكذب حتى يكتب عند الله كذاباً) .

---

(١) أي ما يفترون لأجله ؛ أو ما هم فيه منفعة قليلة تنقطع عن قريب .
(٢) يرشد ويوصل .
(٣) العمل الصالح .
(٤) العمل السيء .

٤١ — الحث على التواضع والتحذير من الكبر

الحمد لله الكبير المتعال ، وأشهد أن لا إله إلا الله : له الأمر كله (وله الكبرياء فى السموات والأرض وهو العزيز الحكيم) ، وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله ، خير من تواضع فى غير ذلة ، وعز فى غير كبرياء ، اللهم صل وسلم على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه ، الذين تواضعوا لله ، فرفعهم ، وأعلى أقدارهم .

أما بعد : فقد قال الله تعالى لنبيه الكريم : (واخفض جناحك للمؤمنين) أى تواضع لهم ، وقال سبحانه : (أليس فى جهنم مثوى(١) للمتكبرين) ، وقال رسول الله ﷺ (٢) : « لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال ذرة من كبر ، فقال رجل : إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا ونعله حسنة قال إن الله جميل يحب الجمال الكبر بطر الحق وغمط الناس ، وبطر الحق رده على قائله ، وغمط الناس : احتقارهم » فمن رد الحق على قائله ، ولم يقبله منه فهو متكبر ، ومن احتقر الناس فلم يبال بهم فى مجلسه ، أو فى معاملته فهو متكبر ومأوى المتكبرين جهنم دار الهوان والعذاب ، فقد نازعوا فى إزار العز ورداء الكبرياء رب الأرباب ، وقد قال رسول الله ﷺ فيما يرويه عنه عز وجل(٣) : « العز إزارى والكبرياء ردائى فمن ينازعنى فى واحد منهما عذبته » .

---

(١) مأوى .
(٢) رواه مسلم .
(٣) رواه مسلم .

أيها الناس :

التواضع : من أجل المزايا ، وأفضل السجايا، وهو خلق الأطهار وأهل العلم والصلاح ، أهل الرفق واللين ، به تملك القلوب ، وينال المرغوب والمحبوب، والتكبر : وصف في الأنام مذموم ، وصاحبه من الخيرات محروم .

تكبر إبليس ، فلم يمتثل أمر الله بالسجود لآدم ، فطرد من رحمة الله، وتكبر فرعون حتى قال لقومه : أنا ربكم الأعلى، فأغرقه الله ، وكتب عليه الإحراق فى أخراه . وتكبر قارون ولم يذكر أن خيره من الله ليؤدى شكر نعمته ، وقال : إنما أوتيته على علم عندى، فخسف الله به وبداره الأرض ، وله عذاب السعير .

ألا إن من تكبر كان كهؤلاء غافلا : يتقلب فى ظلمات ، ويرتع فى شهوات ، وينازع فى الكبرياء جبار الأرض والسموات، ويسعى إلى جهنم وبئس المصير .

يابن آدم :

جاهك من الله منحة ، ومالك منه سبحانه عطية ، وكل مواهبك نعمة من خالقك ، الذى صورك فى الرحم كيف شاء ، ورعاك فى ظلمته ومنحك الحياة، وأخرجك من بطن أمك ضعيفاً، وألقى فى قلب أبويك حبك ، ليعنيا بشئونك ، وأنت لاتقدر عليها ولا تعرف السبيل إليها، فكيف يكون منك الكبر ولا تتواضع ، ألم تشم نتن إبطيك ، أولست تزيل بيدك خبث فرجك ! ألم تعلم أن

النطفة(١) الحقيرة بدايتك، والجيفة القذرة نهايتك، وأنت بينهما تحمل الأقذار، فما أظلمك — أيها المتكبر — لنفسك أتستطيع أن تبقى إذا سلبت الماء والهواء والغذاء، أو تقدر أن تخلق ما به حياتك، فعلام تتكبر. استح — أيها الإنسان — وتواضع لمن أحياك، ثم يميتك، ثم يبعثك حياً، ويحاسبك على ما كان منك، وقد أعد للمتكبر سوء العذاب، وللمتواضع حسن الثواب.

أيها العاقل الرشيد:

اكتسب بالتواضع المجد والحمد، ولا تتكبر، (ولا(٢) تصعر خدك للناس ولا تمش في الأرض مرحاً(٣) إن الله لا يحب كل مختال(٤) فخور).

روى الطبراني عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال على المنبر: أيها الناس تواضعوا، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «من تواضع لله رفعه الله، وقال انتعش(٥) نعشك الله، فهو

---

(١) قال حكيم:

أرى أبناء آدم أبطرتهم — معيشتهم من الدنيا الدنيه
فلم بطروا وأولهم مني — أو افتخروا وآخرهم منيه

(٢) لا تمل خدك عن الناس تكبراً، من الصعر، وهو داء يعتري البعير فيلوي منه عنقه.

(٣) خيلاء.

(٤) متبختر في مشيه.

(٥) انتعش العاثر: أي نهض من عثرته. ونعشه: أي أقامه.

فى أعين الناس عظيم، وفى نفسه صغير، ومن تكبر قصمه(١) الله وقال اخسأ(٢)، فهو فى أعين الناس صغير، وفى نفسه كبير».

وروى الطبرانى، فى معجمه الأوسط، عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما، عن رسول الله ﷺ قال: «إياكم والكبر فإن الكبر يكون فى الرجل، وإن عليه العباءة».

---

(١) أهانه وأذله.

(٢) اسكت سكوت ذلة وهوان.

٤٢ — رعاية اليتيم

الحمد لله الحسيب الرقيب ، وأشهد أن لا إله إلا الله ، علام الغيوب وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله ، دعا إلى رعاية الأيتام ، اللهم صل وسلم على سيدنا محمد ، ذى القلب السليم ، والخلق العظيم ، وعلى آله وصحبه الذين راقبوا الله فنالوا حبه ورضاه .

أما بعد : فقد قال الله تعالى : (ويسألونك عن اليتامى قل إصلاح لهم خير وإن تخالطوهم فإخوانكم والله يعلم المفسد من المصلح ولو شاء الله لأعنتكم إن الله عزيز حكيم) .

لما اعتزل الناس اليتامى ، خوفاً من التبعة والمسئولية — نزلت هذه الآية الشريفة ، والمعنى : ويسألونك عن اليتامى ، قل إصلاح شئونهم ، ومخالطتهم خير من مجانبتهم ، فهم إخوانكم فى الدين : تجب عليكم تربيتهم والله يعلم المفسد من المصلح فيجازيه ، فلا تتحروا غير الإصلاح لليتامى ، ولو شاء الله لكلفكم ما يشق عليكم ، فلم يجز لكم مخالطتهم ، إن الله عزيز ، غالب يقدر على أن يعنت عباده ، ويحرجهم ولكنه حكيم لا يكلفهم إلا وسعهم وطاقتهم .

أيها المسلمون :

إن نعمة الله على الولد الصغير بوجود والده ، يسعى فى مصالحه ، ويرعاه ، ويقوم بحاجاته — من أجل النعم ، وأجل صنع الله للطفل الضعيف ، الذى لا يدرك مصلحته ، ولا يعرف كيف يدبر أمره ، وكيف

يسير فى الحياة ، فمن فقد من الأطفال عائله — فقد فقد خيره وعزه ، وسعادته وهناءه ، ولحقه من الذل والهوان مايوجب الرأفة به ، والعطف والشفقة عليه ، والسعى فى جبر كسره ، وتقويم المعوج من أمره ، وفى ذلك رضا الله .

ولذلك جاء الإسلام ، دين الإصلاح والرحمة ، يحث على رعاية اليتيم ، ويعلن أن موت والد اليتيم — ليس ذنباً منه ، يعاقب عليه ، بإهمال شأنه ، وعدم تربيته وإحسان أدبه ، وإضاعة مصالحه ، وتركه بلا توجيه وإرشاد ، وبغير إبعاد عن الفساد ، حتى ينشأ حليف جهالة ، أليف بطالة ، حريصاً على الإجرام ، مولعاً بالمنكرات والآثام .

أيها المسلم :

ارع اليتيم ، واهتم بصالحه كاهتمامك بصالح أولادك ، ابتغاء وجه الله تعالى ، وعناية بمصلحة المجتمع ، فان إهمال اليتامى ، وعدم تربيتهم — يزيد عدد الأشرار والفجار ، وأهل البطالة والجهالة ، الذين ينشرون الفساد فى المجتمع ويعبثون بأمنه .

ومن اهتم بمصالح الأيتام ، وعنى بشئونهم — وقى الله تعالى أولاده شر الإهمال (هل جزاء الإحسان إلا الإحسان) .

يا عباد الله :

قال الله تعالى : (وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافاً خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولا سديداً) . فليحذر الأوصياء

أن يفعل بأولادهم مالا يحبون ، بعد وفاتهم ، وليفعلوا الخير لليتامى تحت وصايتهم ، وليقولوا لهم ما يحبون أن يقال لأولادهم من عبارات العطف والحنان ، فكما يدين المرء يدان . واحذروا ياقوم — بكاء اليتيم ، فإنه يسرى بالليل والناس نيام ، ويسمعه الله الرقيب العلام ؛ واحذروا جوعه وعريه ، وإهمال تربيته ، فالمجازى — جل شأنه — لايغفل ولاينام ، ولا تأكلوا ماله ، فقد قال رسول الله ﷺ(١) : « يبعث يوم القيامة قوم من قبورهم ، تأجج أفواههم ناراً ، فقيل من هم يارسول الله ؟ قال ألم تر أن الله يقول : (إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون فى بطونهم ناراً وسيصلون سعيراً) فلا يغرنكم هؤلاء الأوصياء القساة ، الذين يأكلون أموال اليتامى بلا مبالاة ؛ فلهم يوم عسير ، يحاسبهم فيه الله ، يومئذ لاينفعهم ما يلفقون للمجالس الحسبية من الحساب ، ولايجوز غشهم على سريع الحساب ، العزيز الجبار شديد العقاب (يومئذ لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار) .

روى الطبرانى عن أبى الدرداء رضى الله عنه قال : « أتى النبى ﷺ رجل يشكو قسوة قلبه ، قال أتحب أن يلين قلبك وتدرك حاجتك ، ارحم اليتيم ، وامسح رأسه ، وأطعمه من طعامك يلن قلبك ، وتدرك حاجتك » .

---

(١) رواه أبو يعلى .

٤٣ — نظام الأسرة فى الاسلام

الحمد لله الحكيم العليم ، وأشهد أن لا إله إلا الله ، هدى بالإسلام إلى إصلاح الأسرة ، وبناء المجتمع السليم ، وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله ، دعا إلى خير نظام تحيا به الأسرة خير حياة ، اللهم صل وسلم على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه ، الذين تكونت بهم الأسر الصالحة والمجتمعات السعيدة الناجحة.

أما بعد : فقد قال الله تعالى : (ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة والله عزيز حكيم) بمان ذلك القول الكريم أن للنساء حقاً على الرجال مثل الحق الذى عليهن لهم وأن للرجال على النساء درجة(١) الرياسة (والله عزيز) يقدر على الانتقام من خالف الأحكام (حكيم) يشرع الأحكام لمصالح وحكم .

أيها المسلمون

الأسرة أساس المجتمع ، فإن صلحت قوى وسعد ، وإن فسدت أسرع إليه الفساد ، وآل أمره إلى ذل وهوان وزوال .

---

(١) قال تعالى :(الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم)

لذلك حث(١) الإسلام الرجل على أن يختار زوجته ذات دين، تراقب (٢) ربها في جمالها وحسبها ومالها ومال زوجها وكتمان سره، وتصون عرضها، وتربي أولادها، وتجعل بيت الزوجية المنزل الصالح، ومنبت الفضائل، ومدرسة السعادة والهناءة، وخير مكان للراحة من عناء الأشغال، ومتاعب الحياة.

ورغب الاسلام في أن يقوم الزواج على الرغبة الصادقة، والحب الطاهر، ليطمئن كل من الزوجين للآخر ويسكن إليه، ويثق به فتدوم بينهما المودة والألفة والرحمة ويتبادلا العواطف الكريمة: (ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون)، وخطب المغيرة

---

(١) دليل ذلك ما رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «تنكح المرأة لأربع: لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك» في ذلك الحديث بيان ما جرت به العادة من أن الناس يرغبون في زواج المرأة لواحد من الأغراض المذكورة؛ وقوله صلى الله عليه وسلم: تربت يداك من الكلمات التي جاءت عن العرب صورتها دعاء؛ ولا يراد بها الدعاء، وإنما يراد بها الحث والتحريض على شيء وهو هنا اختيار ذات الدين. وقال في المختار «ترب الرجل: أي افتقر كأنه لصق بالتراب وتربت يده: دعاء عليه أي لا أصاب خيرا».

(٢) روى النسائي وأحمد وأبو داود أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله عز وجل خيراً من زوجة صالحة إن أمرها أطاعته وإن نظر إليها سرته. وإن أقسم عليها أبرته. وإن غاب عنها حفظته في نفسها وماله»

رضي الله عنه امرأة ، فقال (١) النبي صلى الله عليه وسلم لأنظر إليها ، فإنه أحرى أن تدوم به العشرة . انظر إليها فإنه أحرى أن يؤدم (٢) بينكما » .

وجاءت (٣) فتاة إلى رسول الله ﷺ ، فقالت له : إن أبي زوجني من ابن أخيه ليرفع بي خسيسته ، فجعل صلى الله عليه وسلم الأمر إليها ، فقالت : قد أجزت ما صنع أبي ، ولكن أردت أن أعلم النساء أنه ليس إلى الآباء من شيء ، فليس للآباء إكراه بناتهم على التزوج بمن لا يرضينه ، وألزم الإسلام الزوجين حسن المعاملة والمعاشرة ، ورعاية أولادهما ، وتربيتهم تربية فاضلة ، وألزم الزوج بالإنفاق على أهله ، وألزم الزوجة أن تقدر رياسة زوجها ، فتطيع أمره ، ولا تخرج من البيت إلا بإذنه ، ولا تدخل فيه من يكره ، ولا تعطي شيئاً من البيت إلا بعد استئذانه ، وإلا كان له الأجر وعليها الوزر .

وأمر الله بالإحسان إلى الوالدين وبصلة الأقربين .

أيها المسلمون :

بهذه التعاليم السامية — وضع الإسلام — لتكوين الأسرة الصالحة — خير نظام : باتباعه — يعمر المجتمع بالعلماء المخلصين ، والقادة المصلحين ، والصناع الأمناء ، والعمال الأوفياء والشباب القوي التقي ، والزوجات المتدينات ، والحكام العادلين الراحمين ، والجنود الشجعان

---

(١) رواه الترمذي .
(٢) أحرى أن يؤدم بينكما : أدعى إلى دوام ألفتكما ، واستمرار عشرتكما .
(٣) رواه أحمد والنسائي وابن ماجه .

الذين يجودون بالأرواح في سبيل الله . فاتقوا الله ، واتبعوا تعاليم دينكم وقوموا برعاية أهلكم وحقهم عليكم . وليعمل كل منكم على صلاح أسرته تسعدوا ، ويعظم الله أجركم ، ويزد مجتمعكم .

وروى البخاري ومسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : كلكم راع (١) وكلكم مسئول عن رعيته : الإمام (٢) راع ومسئول عن رعيته . والرجل راع في أهله ومسئول عن رعيته . والمرأة راعية في بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها . والخادم راع في مال سيده ومسئول عن رعيته ، وكلكم راع ومسئول عن رعيته .

وروى ابن حبان في صحيحه ، عن أنس بن مالك : رضي الله عنه : قال : قال رسول الله ﷺ : (إن الله سائل كل راع عما استرعاه : حفظ أم ضيع حتى يسأل الرجل عن أهل بيته) .

---

(١) من الرعاية : وهي حفظ الشيء وحسن التعهد له والعمل على صلاحه .
(٢) الوالي : رئيس الرعية وحاكمها .

٤٤ — التحذير من الدعوات الإباحية

الحمد لله : كرم بنى آدم ، فأحسن صورهم ومنحهم العقل المفكر والسان المعبر ، وأشهد أن لا إله إلا الله ، أمر بالنظر فى خلقه ، للاقرار بعظمته ، وأشهد أن سيدنا محمد رسول الله ، خير إنسان دعا إلى الله الواحد الديان ؛ اللهم صل وسلم على سيدنا محمد . وعلى آله وصحبه . الذين اقتدوا به . فهدوا إلى السعادة فى دنياهم . وإلى النعيم المقيم فى أخراهم .

أما بعد : فقد قال الله تعالى (يأيها الناس أعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون . الذى جعل لكم الارض فراشا والسماء بناء وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم فلا تجعلوا لله أندادآ وأنتم تعلمون) .

فى ذلك النداء يأمر الله تعالى الناس بعبادته ، وينهاهم عن أن يجعلوا له شركاء من الأصنام والناس . وهم يعلمون — بما فطروا عليه من التمييز — أن الخالق الحق لا يصح أن يكون له شريك ولا شبيه .

يأيها الإنسان :

إن الله تعالى خلق لك هذا العالم ، أرضه وسماءه ، خلق لك كواكبه وبحاره وجباله ونباته وحيوانه وجماده ، وفيما خلق آية عظمته ، ودليل ألوهيته ، وقد أعدك لإدراك هذه الآية ، وذلك الدليل ، فمنحك العقل وأرسل إليك رسوله الكريم بقرآنه العظيم ، يهدى للتى هى أقوم .

إنعام عظيم، من المولى الكريم، لتعبده، وتتقيه، وتحده ولكون شاكراً لا كافراً، فتحيا جديراً بآدميتك، محققاً لإنسانيتك، باعتقادك الحق وحسن سلوكك، وتستحق الكرامة والفوز بالانعام والسلامة في الدارين (إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون).

ومن جعل لله شريكا من حيوان أو نبات أو جماد — فقد انحطت نفسه، وسقطت كرامته، ولم يكن جديراً بالإنسانية، والآدمية المحترمة، وهل يخضع عاقل ويذل لغير الله عز وجل (الله الذى جعل لكم الأرض قراراً والسماء بناء وصوركم فأحسن صوركم ورزقكم من الطيبات ذلكم الله ربكم فتبارك الله رب العالمين).

ومن اتبع هواه، وترك عبادة الله، وانغمس في شهواته ولذاته، لادين يمنعه، ولاقانون يردعه، ولاخلق يعصمه، ولاإنسانية تحجزه فقد أهمل عقله، وأهلك نفسه، وقذف بها في السعير، وبئس المصير.

فتيقظ أيها العاقل لنفعك والوقاية من ضرك، واحذر الشياطين، أعداء الدين الذين يدعون — جرأة إلى اتباع الهوى والفجور وسفك الدماء، وسلب الأموال، وإشباع الغرائز الحيوانية، فالحياة بذلك فوضى بلا نظام؛ مآلها الخراب لا العمران. واعلم أيها المتيقظ — أن الله الذى أمرك بعبادته وتقواه — لم يحرم عليك ما ناله بحق ما فيه نفع لم يخالطه ضر من متع الحياة (قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون).

أيها المسلم:

أطع الله ورسوله، ولا تطع من يدعون إلى المنكر، وإباحة

الفسق والفجور . وانبع الاسلام : (ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب) .

روى أحمد والبزار والطبراني عن أبي برزة رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال : « إنما أخشى عليكم شهوات الغي(١) في بطونكم وفروجكم ومضلات الهوى » .

وروى الطبراني في الكبير ، وابن أبي عاصم في كتاب السنة ، عن أبي أمامة : رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (ما تحت ظل السماء من إله يعبد أعظم عند الله من هوى متبع) .

---

[١] الانهماك في الجهل وهو خلاف الرشد .

٤٥ – الحب الصادق للوطن

الحمد لله : عمر البلدان بحب الأوطان ، وأشهد أن لا إله إلا الله ، يحب من أدى الواجب بإخلاص وإذعان ، وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله ، أشرف إنسان ، اللهم صل وسلم على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه الذين عرفوا الحقوق والواجبات ، ورعوها حق رعايتها فى صدق وثبات ، ففازوا بالعزة والسعادة ونعيم الجنات .

أما بعد فياعباد الله :

لما خرج النبى صلى الله عليه وسلم من مكة – اشتاق إليها ، فوعده الله تعالى برده إليها فى قوله الكريم : (إن الذى فرض(١) عليك القرآن لرادك إلى معاد(٢)) .

أيها المسلمون :

جبلت النفوس على حب الوطن : إنه المكان الذى نشأت به ، وأول أرض تغذت بخيراتها ، وسقاها ماؤها ، واستنشقت هواءها .

فلا عجب أن يشتاق الإنسان إلى وطنه ، إذا بعد عنه ، ويقيه الشر بنفسه ، ويفتديه بالمال والولد ، وإنها لنعمة عظيمة ، أن يتمتع الإنسان برؤية وطنه ، لذلك وعد الله نبيه برؤية مكة ، ورده إليها ، بعد أن خرج منها ، وهو غير راض عن أهلها ، الذين عادوه وآذوه ، وأخيراً أعدوا العدة لقتله ، فوقاه الله .

---

(١) فرض تلاوته والعمل به .
(٢) أى الأرض التى اعتدتها وهى مكة .

أيها من يحب الوطن :

تنبه إلى أن راحتك ، وتمتعك بالنعم ، وسلامة عرضك ومالك وأهلك ونفسك — مرهون ببقاء وطنك حراً ، فاحرص على ذلك ، باستعدادك لدفع أعدائه ، واقصد بعملك في وطنك مصلحته . فإذا كنت تاجراً فأحضر من البضائع ما يحتاج إليه ، وارفق بمواطنيك ، فلا تحتكر بضاعة ، ولا تزد في الأسعار ، ولا تغش ، ولا تطفف الكيل والميزان ، وإذا كنت زارعاً فاجتهد في زرعك ، واعمل على كثرة الإنتاج . وإذا كنت صانعاً أتقن صناعتك . وإذا كنت موظفاً فأد وظيفتك بإخلاص وأحسن معاملة جميع الناس ، وليكن الحق سبيلك ، والإنصاف قصدك .

أيها المسلمون :

علامة الحب الصادق للوطن — حب الخير له ، والحرص على أمنه وسلامة أفراده ، فالمحب الصادق لوطنه — يسعى لتوفير أمنه ، ويصلح بين المتخاصمين ويحب لأخيه في الوطن ما يحب لنفسه .

علم سلفنا الصالح ذلك ، وقاموا به ، فكانوا أقوياء بالمحبة والائتلاف ، فعز بهم الإسلام ، وسعدت أوطانهم ، وكانت لهم الكلمة المسموعة ، والراية المرفوعة ، فاقتدوا بهم واتبعوا سبيلهم ، فهو سبيل المؤمنين (ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله(١) ما تولى ونصله(٢) جهنم وساءت مصيراً) .

روى البخاري ومسلم عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » .

---

(١) نوجهه الوجهة التي ارتضاها لنفسه . (٢) وندخله النار في الآخرة .

٤٦ - التحذير من إزالة البكارة بالإصبع

الحمد لله: من أطاعه أكرمه وسره، وأشهد أن لا إله إلا الله، يحب من وقى نفسه المضرة، وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله، خير من دعا إلى السداد والصواب، اللهم صل وسلم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه، الذين تأدبوا بآدابه، فكانوا هم الفائزين.

أما بعد فقد قال الله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان ومن يتبع خطوات الشيطان فإنه يأمر بالفحشاء والمنكر).

أيها المسلمون:

استمع سلفنا الصالح لهذا النداء الكريم، فلم يتبعوا خطوات الشيطان الرجيم، فسلموا من الفحشاء والمنكر، ولما غفل المسلمون عن هذا النداء، واتبعوا خطوات الشيطان عدوهم - انتشرت فيهم عادة فض البكارة بالأصبع، فعندما يتوجه الزوج إلى الدخول بزوجته - يحال بينه وبين ما يبغيه، ويصرف بعناد وغلظة عما يشتهيه، ويشترط عليه أن يزيل بكارة زوجته بإصبعه، في مظاهرة من أهلها، وحفل كبير من معارفها، بعد تفريج فخذيها، وتقييد حركاتها بأيدي أمها وعماتها وخالاتها، ووراء ذلك قطعاً انكشاف عورتها، وذلك منكر لا يرضاه مؤمن حي غيور، يحذر غضب الله عليه، فقد قال الرسول ﷺ (1) «لعن الله الناظر والمنظور إليه».

فخزي ذلك الأب، الذي يشترط افتضاض بكارة ابنته بالأصبع. ومن عجب أن يعادي الزوج إذا امتنع، ويحرص على أن يفتدى

---

(1) رواه ابن عساكر من حديثه.

بالرسول فيما صنع ، ومن أضل ممن يسلك سبيل الشيطان ، ويجانب سبيل خير إنسان ؟

يامن يريد الاطمئنان على عرض ابنته ، ويحرص على صيانة سمعته بين عارفيه ومشهريه .

ليس الدخول الشرعي بالزوجة يعين حقيقة ظاهرة ، ولا ظهور الدم على المنديل يدفع الشبهة عن ساقطة فاجرة ، فحيل القابلات وأمثالهن ووسائلهن : لستر العيب — معروفة ، ولزوال البكارة أسباب كثيرة ، فقد تزول من جراء وثبة قوية ، أو سقطة شديدة ، أو صدمة أمامية ، ولأن ينكشف زوالها في فراش الزوجية ، أهون وأخف وطأة من ظهوره في حفلة علنية ، يشهدها المئات ، ويترقب خبرها الرجال والسيدات ، وقد أخبر المجربون والخبيرون بأن كثيراً ما تصدم الإصبع بعنق الرحم ، فتحوله عن وضعه الطبيعي ، وينشأ عن ذلك العقم ، وغير خاف ما يترتب على ذلك من اضطراب في الحياة الزوجية بالكلية ، لذلك كان هدى الرسول في الدخول بالزوجة خيراً — وكل هدى النبي قد رجح .

يأيها الآباء ، ويأيها الأزواج :

اتقوا الله ، وقاطعوا عادة إزالة البكارة بالإصبع ، وتمسكوا بسنة الرسول الكريم — تسلموا من الشر ، وتنالوا الأجر العظيم .

روى الحاكم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من أكل طيباً ، وعمل في سنة ، وأمن الناس بوائقه — أي شروره — دخل الجنة ، قالوا : يارسول الله إن هذا اليوم في أمتك كثير ، قال : وسيكون في قوم بعدي » .

٤٧ - التحذير من جريمة القتل

الحمد لله : خلق الإنسان ، وجعل حياته حقاً ، وأعد لمن اعتدى عليها عذاباً أليماً ، وأشهد أن لا إله إلا الله الذى قال : (ولكم فى القصاص (١) حياة يا أولى الألباب لعلكم تتقون ، وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله ، القائل (٢) : « لزوال الدنيا أهون على الله من قتل مؤمن (٣) بغير حق (٤) ، ولو أن أهل سمواته وأهل أرضه اشتركوا فى دم مؤمن لأدخلهم الله النار .

اللهم صل وسلم على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه الذين بعدوا عن الإثم والعدوان ، فسلموا وفازوا برضا العزيز المنان .

أما بعد فقد قال الله تعالى : (ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذاباً عظيما) .

---

(١) القصاص : قتل القاتل .

(٢) رواه البيهقى والأصبهانى .

(٣) لاشك أن ذلك القول النبوى الشريف ، أعلن فظاعة قتل المؤمن ، وعلى المسلم أن يتنبه لذلك وأن يعرف أن أهل الكتاب الذين بيننا وبينهم معاهدة حقة - يحرم قتلهم : روى البخارى عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة وإن ريحها يوجد من مسيرة أربعين عاما » ومعنى لم يرح - بفتح الراء - لم يجد ريحها ، ولم يشمها .

(٤) أى بغير واحدة من الخصال الثلاث المذكورة فى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يحل دم امرىء مسلم إلا بإحدى ثلاث : الثيب الزانى ، والنفس بالنفس ، والتارك لدينه المفارق للجماعة » رواه البخارى ومسلم عن ابن مسعود رضى الله عنه .

فعجبا لذى عقل يقتل النفس التى حرم الله قتلها ، فيغضبه بهدم مابناه ، ويستوجب لعنته والطرد من رحمته بإفساد الذى بيده سواه ، ويقذف بنفسه فى جهنم وعظيم العذاب .

حكم الله تعالى بالإعدام على القاتل فى دنياه ، وشديد العقاب فى أخراه ، ومع ذلك قست القلوب ، فهان إزهاق الأرواح لغير ذنب ولاتفه الأسباب : لكلمة لاترضى أو لنظرة لاتعجب ، او مقابلة فيها عبوس ، وللتنافس على امرأة ، أو شراء أرض أو استئجارها ، ومن أجل قروش ، وعرض الدنيا الزائل ، أو استطالة عمر مورث ، ونحو ذلك من حقير الامور — يقتل الإنسان النفس ، غير مبال بتيتم أولاد ، ولاترمل زوج.

أفقد ذلك الجانى الآثم عقله ، فلم يتصور حال امرأته وأولاده ، وقد فقدوه وصاروا يلتمسون العائل المعطوف ، والراعى الرءوف ، فلم يجدوه ؟ فكما يدين المرء يدان ، وكما يفعل يجازى (من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد) .

وماذا يصنع القاتل ، يوم يمسك به المقتول ، بين يدى القهار ذى البطش الشديد ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم(١) : « يأتى المقتول متعلقا رأسه بإحدى يديه ، متلبباً(٢) قاتله باليد الأخرى ، تشخب(٣)

---

(١) رواه الطبرانى فى الأوسط .

(٢) آخذاً من ثيابه مايقع على اللبة وهى المنحر ، والمراد به أنه متمكن من إمساكه .

(٣) تجرى ، والأوداج العروق التى يقطعها الذابح .

أوداجه دما ، حتى يأتى به العرش فيقول المقتول لرب العالمين : هذا قتلنى ، فيقول الله للقاتل : تعست(١) ، ويذهب به إلى النار » .

فعاقبة القاتل الخيبة والخسران ، والقذف فى النيران ، حكم بذلك عليه الحكم الذى لاراد لحكمه ، ولا مانع لقضائه ، الله القوى العزيز .

فمن ذا الذى يتعرض لهذا البلاء : ويسعى لذلك الجزاء ، ويكون من الحمق السفهاء ؟

إن العاقل يرى القتل عظيم الضرر ، شديد العقاب ، كبير الخطر ، فيبعد كل البعد عنه ، طلباً لسلامة نفسه وأهله ، وتوفيراً للأمن فى موطنه ، وفراراً من مقت الله وغضبه ، يوم العذاب الأكبر ، وإنما يرتكب جريمة القتل الشنعاء — غافل حظه الشقاء .

وفيما حكاه الله من قتل ابن آدم أخاه — عبرة لمن رحمه الله : قال تبارك وتعالى : « واتل عليهم نبأ ابنى آدم بالحق إذ قربا قرباناً(٢) فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر قال لأقتلنك قال إنما يتقبل الله من المتقين . لئن بسطت إلى يدك لتقتلنى ما أنا بباسط يدى إليك لأقتلك إنى أخاف الله رب العالمين . إنى أريد أن تبوء بإثمى(٣) وإثمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين . فطوعت له نفسه قتل

(١) خبت وخسرت .

(٢) القربان : ما يتقرب به إلى الله سبحانه وتعالى من ذبيحة أو غيرها .

(٣) بإثم قتلى وإثمك الذى لم يتقبل من أجله قربانك ؛ أى إنى أريد أن ترجع بعقوبة الإثمين .

أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين . فبعث الله غراباً يبحث فى الأرض ليريه كيف يوارى سوأة أخيه قال ياويلتى أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأوارى سوءة أخى فأصبح من النادمين) .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم(١): «من أعان على دم امرىء مسلم بشطر كلمة كتب بين عينيه يوم القيامة : آيس من رحمة الله » وفى معنى إعانة المرء على القتل بشطر(٢) كلمة ـ قال سفيان بن عيينة : هو أن يقول : أق ، يعنى لايتم كلمة اقتل ، فكيف بالقوم من يتمها ويكون على القتل محرضاً ؟ وكيف من يقتل ويريق الدم ويبطل الحياة.

عباد الله :

لاتقتلوا النفس التى حرم الله قتلها ، ولاتعينوا على قتلها ، (واعلموا أن الله يعلم مافى أنفسكم فاحذروه) .

وروى الإمام أحمد ، عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه ـ أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « يخرج عنق ـ أى رقبة ـ من النار ، يتكلم(٣) يقول : وكلت بثلاثة ، بكل جبار عنيد ، ومن جعل مع الله إلهاً آخر ، ومن قتل نفساً بغير حق ، فينطوى عليهم ، فيقذفهم فى حمراء جهنم) .

وروى البخارى ، والحاكم ، عن ابن عمر : رضى الله عنهما : قال :

---

(١) رواه البيهقى .

(٢) بنصف كلمة .

(٣) أى شأنه الكلام فهو ليس بأخرس ، والعنق : مذكر ، والحجاز تؤنث فيقال : هى العنق ، والنون مضمومة للاتباع فى لغة الحجاز ، وساكنة فى لغة تميم .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لن يزال المؤمن فى فسحة من دينه مالم يصب دما حراماً) .

وقال ابن عمر : (من ورطات(١) الامور التى لا مخرج لمن أوقع نفسه فيها ـ سفك الدم الحرام بغير حله) .

وروى ابن ماجه ، عن عبد الله بن عمرو : رضى الله عنهما : قال : (رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ يطوف بالكعبة ويقول : (ما أطيبك . وما أطيب ريحك . ما أعظمك وما أعظم حرمتك ، والذى نفس محمد بيده لحرمة المؤمن عند الله أعظم من حرمتك . ماله ودمه) .

---

(١) جمع ورطة ـ بسكون الراء ـ وهى المهلكة ، وكل أمر تعسر النجاة منه .

٤٨ – التحذير من إشاعة الأخبار الكاذبة السيئة

الحمد لله العليم فلا تخفى عليه خافية ، وأشهد أن لا إله إلا الله ، يرفع الصادقين درجات عالية ، وأشهد أن سيدنا محمداً ، رسول الله ، الهادى إلى كل ماينفع ، القائل(١) : « كفى بالمرء كذباً أن يحدث بكل ماسمع » اللهم صل وسلم على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، فشملهم بعنايته ، وأمدهم بخيراته وأعد لهم أجراً عظيما .

أما بعد : فقد قال الله تعالى : (ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤلا) .

في ذلك القول الكريم ينهى الله سبحانه وتعالى أن يتبع المرء ماليس له به علم من أمور الدين والدنيا ، فإن ذلك يؤدى إلى التخبط والضلال ، ويعلن تبارك وتعالى أن المرء مسئول عما يفعله بالسمع والبصر والفؤاد .

أيها المسلمون :

من الأخبار التى تشاع ماهو صدق ، ومنها ماهو كذب ، فنهانا الله تعالى عن الأخذ بمالم نعلم صدقه منها مما ظنناه أو توهمناه ، أو سمعناه من غير أن نتحراه ، وفى ذلك دعوة إلى تحرى صدق الأخبار من كذبها ، وما أشد الحاجة إلى اتباع ذلك السبيل القويم ، الذى فيه سعدنا وعزنا وخيرنا وأمننا ، فكم من خبر كاذب ، جرت إشاعته أسوأ العواقب .

---

(١) رواه مسلم .

ترى الأسرة آمنة هادئة ، مطمئنة هانئة فيشاع أن أحد أبنائها قتله أسرة أخرى أو أحد أفرادها ، فتحمل السلاح وتزهق الأرواح وتقلق الأمن وتشيع الذعر بين الناس ، فيساق أفرادها إلى السجون ، ويذوقون عذاب الهون (وما ظلمهم الله ولكن أنفسهم يظلمون) .

ويشيع أن صنفا كذا سيغلو ثمنه ، أو سيقل ، فيزاحم الناس على ادخاره ، وفى التزاحم المشقة والعناء ، وربما كان فى ذلك الادخار الضر وعظيم البلاء .

ووقع فى غزوة أحد أن أكثر الرماة الذين كانوا يدافعون عن المسلمين تركوا أماكنهم ، سعياً وراء الغنيمة ، فاشتد القتال بين المسلمين وبين المشركين ، وأشاع كاذب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل ، فأصاب المسلمين فزع وهلع ، وولى بعضهم الأدبار ، ولكن الله تداركهم بلطفه ، فرآهم النبى صلى الله عليه وسلم ، وهو يناديهم: إلى عباد الله ، فأجابوا النداء ، وأسرعوا إليه . باذلين أرواحهم فداء لإمام الأنبياء: وفى تلك الحادثة — يقول الله تبارك وتعالى : (ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسونهم(١) بإذنه حتى إذا فشلتم وتنازعتم فى الأمر وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون(٢) منكم من(٣) يريد الدنيا ومنكم من(٤)

---

(١) تقتلونهم من حسه ، أى أبطل حسه ، والحس : هو الصوت الخفى .
(٢) أى من الظفر والغنيمة وانهزام العدو .
(٣) هم الرماة الذين تركوا أماكنهم للغنيمة .
(٤) هم الرماة الذين ثبتوا فى أماكنهم محافظة على أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لأنه كان قد أمر الرماة أن يثبتوا فى أماكنهم .

يريد الآخرة ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ولقد عفا عنكم والله ذو فضل على المؤمنين. إذ تصعدون(١) ولا تلوون(٢) على أحد والرسول يدعوكم في أخراكم(٣) فأثابكم(٤) غماً بغم لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما أصابكم والله خبير بما تعملون).

وكم من فتاة أخرت زواجها إذاعة خبر كاذب يمسها، وكم من ضحية للمحتالين الدجالين من أجل إشاعة تهمهم كذباً وزوراً.

وليس بخاف الضعف والخوف والاضطراب وبلبلة الأفكار عندما ينشر الصحفي من باطل الأخبار، وما يصيب المغرض من تهم ضد الرجال والنساء، ومن أخبار كاذبة تضر بسلامة الدولة أو تقوي أمل الأعداء.

فضرر إشاعة الأخبار الكاذبة السيئة خطير، وشرها مستطير، ولذلك جاء القرآن الكريم بتهديد الله تعالى ووعيده الشديد وذمه للمرجفين في المدينة ومشيعي أخبار السوء بها، كما جاء بذلك للمنافقين ومرضى القلوب: قال الله تعالى: (لئن لم ينته المنافقون(٥) والذين في

---

(١) الإصعاد: الذهاب والإبعاد في الأرض.
(٢) لا يقف أحد منكم لأحد ولا ينتظره.
(٣) جماعتكم الأخرى.
(٤) فجازاكم الله عن فعلكم وعصيانكم غماً متصلاً بغم، من الاغتمام بالقتل والجرح وظفر المشركين والإرجاف بقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو فجازاكم غماً بسبب غم أذقتموه رسول الله صلى الله عليه وسلم بعصيانكم له.
(٥) لئن لم ينته المنافقون، أي عن نفاقهم.

قلوبهم مرض(١) والمرجفون(٢) فى المدينة لنغرينك(٣) بهم ثم لا يجاورونك فيها(٤) إلا قليلا . ملعونين(٥) أينما ثقفوا(٦) أخذوا وقتلوا تقتيلا . سنة الله فى الذين(٧) خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا(٨)).

وأقبح الاشاعات — إشاعة تمس العرض ، وتخدش الكرامة ، وتجرح الشرف ، ولذلك عقاب مرتكبها شديد : قال الله تبارك وتعالى: (إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا لهم عذاب أليم فى الدنيا(٩) والآخرة والله يعلم وأنتم لاتعلمون) .

ألا إن الحقائق المفيدة هى التى يجب أن تظهر وتشيع ، والأخبار الكاذبة يجب أن تبيد وتخفى . والعاقل السعيد يرقب مولاه مراقبة.

---

(١) ضعف إيمان وقلة ثبات عليه أو فجور عن تزلزلهم فى الدين أو فجورهم .

(٢) الذين يخبرون الأخبار الكاذبة السيئة من الإرجاف وهو الإخبار الكاذب ، وسمى الإخبار الكاذب إرجافاً من الرجفة وهى الزلزلة — لكونه متزلزلا غير ثابت ، ويهنشأ عنه الزلزلة والاضطراب فى النفوس .

(٣) لنأمرنك بقتالهم وإجلائهم أو مايضطرهم إلى طلب الجلاء .

(٤) فى المدينة .

(٥) من اللعن وهو الطرد والإبعاد .

(٦) وجدوا .

(٧) فى الأمم الماضية فقد كانت سنته تعالى أن يقتل الذين نافقوا الأنبياء وسعوا فى ضعفهم بالإرجاف وإشاعة أخبار السوء عنهم ونحو ذلك .

(٨) لأنه لايبدلها ولا يقدر أحد أن يبدلها .

(٩) إذا كانت الاشاعة قذفا بالزنا فالعذاب هو الحد الوارد فى قوله تعالى : (والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً وأولئك هم الفاسقون . إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فإن الله غفور رحيم) .

حتى يعتقد أنه يسمعه ويراه فيتحرى الصدق، ولا يخبر بغير ثابت وتحقق فيسلم من الشر ويفوز بالخير.

أيها المسلمون:

لا تخبروا بغير الصدق، ولا تخبروا بغير تحقق، ولا استمعوا للاشاعات. وانبذوها، واحذروا أن تروجوها (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديداً يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيما).

روى البخارى ومسلم والنسائى عن أبى هريرة رضى الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين(١) فيها يزل بها فى النار أبعد ما بين المشرق والمغرب».

وروى الطبرانى، عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه: قال: «سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقلت: يارسول الله، أى الأعمال أفضل؟ قال: «الصلاة على ميقاتها»، قلت: «ثم ماذا يارسول الله؟» قال: «أن يسلم الناس من لسانك».

---

(١) ما يتفكر فيها، هل هى خير أو شر؟

٤٩ — التحذير من الخمر

الحمد لله : نهى عن الخمر ، وقاية الناس من الضرر ، وهو الرحمن الرحيم ، وأشهد أن لا إله إلا الله ، أحسن إلى عباده ، فأحل ما ينفعهم وحرم ما يضرهم ، وهو الحكيم العليم ، وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله ، خير داع إلى ما يحبه الله ويرضاه ، اللهم صل وسلم على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه ، الذين امتثلوا أوامر الله ، واجتنبوا نواهيه ففازوا وأفلحوا .

أما بعـــد : فقد قال الله تعالى :

(يأيها الذين آمنوا إنما الخمر ، والميسر(١) ، والأنصاب(٢) والأزلام(٣)

---

(١) القمار .

(٢) الأصنام التي نصبت للعبادة .

(٣) جمع زلم بفتح اللام ، وضم الزاي وفتحها ، وهو القدح بكسر القاف وسكون الدال وهو السهم قبل أن يراش ويركب نصله ؛ وكانت العرب في الجاهلية تكتب على قدح : أمرني ربي ، وعلى آخر نهاني ربي ؛ وتترك ثالثا غفلا لا كتابة عليه ، وتضع الثلاثة في وعاء ؛ فإذا أراد أحدهم أمراً أدخل يده وأخرج ما فيه الأمر مضى لقصده ، وإن خرج ما فيه النهي كف ولا شك أن الاستقسام بالأزلام ومعرفة المرء ما قسم الله له بذلك مخالفة الحق ، وضلال باعتقاد أن ذلك الفعل طريق إلى علم غيب ، وافتراء على الله سبحانه وتعالى أن أريد بربي في أمرني ربي الله ؛ وجهالة وشرك أن أريد به الصنم ؛ ولا يقال : إن الاستخارة الشرعية كذلك طريق إلى معرفة غيب ، فإنها إنما تكون في المباح وهي عبادة لله تعالى الذي علم الغيب وحده ، ويطلع على بعضه من يشاء .

. . . .

= وكانت العرب فى الجاهلية أيضا تقسم الجزور ، وهو من الإبل خاصة يقع على الذكر والأنثى - ثمانية وعشرين جزءاً . ثم تستقسم تلك الأجزاء بواسطة أقداح عشرة كل قدح له اسم ، ولكل من سبعة منها قدر من الأجزاء والثلاثة الأواخر ليس لها قدر ، فمن خرج له واحد منها لا يكن له نصيب ، وكان من خاسرى المقامرة وشريكا فى غرامة ثمن الجزور مع زميليه ، وقد نظمت أسماء الأقداح العشرة وضبطته الصباء مايربح منها ، فقلت :

هاك المعلى المسبل التابع له	فالنافس الحلس الرقيب ما تلاه
فالتوءم الفذ وفيها المكسب	والرابحون هكذا قد رتبوا
لأول سبعة أجزاء الجزور	وبعده مابعد سبعة يدور
ومن يكن نصيبه المنيح	لم يك رابحا كذا السفيح
كذلك الوغد فى حكم المنيح	والخسر فيها منتج حسر المديح
عشرة أقداح القمار فى العرب	اقضى عليها دين طه المنتخب

ومما هو جدير بالذكر أنهم بعد انتهاء اللعبة كانوا يتصدقون بالجزور كلها ، ومع ذلك حرمها الدين لما فى المقامرة من أضرار .

ولعله ظهر للقارىء من هذا البحث معنى قولهم : «فلان القدح المعلى» إذا حاز النصيب الأكبر إذ المعلى القدح الذى فاز صاحبه بسبعة أجزاء الجزور كما هو واضح فى النظم .

رجس(١) من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون . إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل(٢) أنتم منتهون) .

يأيها المؤمنون :

إنما الخمر(٣) كالمقامرة وعبادة الأصنام ، والاعتقاد فى معرفة المقسوم بالسهام - قذر دفع إليه الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون ، وبرحمة الله تفوزون ، إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والكراهة بسبب الخمر والقمار ، لأنهما مدعاة النزاع ، ويكفكم عن ذكر الله ، وهو الذى به تطمئن القلوب ، ويمنعكم عن الصلاة ، وهى صلة بين العبد وربه ، فهل أنتم منتهون ، والخمر والقمار تاركون .

وإن الإنسان يحتاج لأداء رسالته فى الحياة - إلى عقل سليم ، وصحة قوية ومال يغنيه وشرف يعليه .

من أجل ذلك - حرم الإسلام مايضر بالعقول والأبدان ، ويخدش الشرف ، ويضيع الأموال .

---

(١) قذر .

(٢) أعيد الحث على الانتهاء عن الخمر والميسر بصيغة الاستفهام - إعلاماً بأن الأمر فى المنع والتحذير بلغ الغاية ، وأن الأعذار قد انقطعت ، فليس بعد عفو لمتعاطيهما .

(٣) لأضرار الخمر الكثيرة - حد شاربها - أربعون جلدة عند الشافعى ، وثمانون جلدة عند أبى حنيفة ومالك وابن حنبل .

فلا عجب أن نهى القرآن عن الخمر، وأمر باجتنابها، وأعلن أن الفلاح في البعد عنها.

إن الخمر تضعف العقل وتفقده، وتضيع الشرف، وتبدد الأموال، وتحدث العلل، وتزيل النسل، وقد تسبب العقم.

ولا يخفى اعتداء السكران على الحقوق، ومخالفته الآداب العامة، وجرأته على القتل والزنا.

فبالخمر تنتشر الجرائم، ويعبث بالأمن العام، وتزيد الجنايات، وتقع العداوة والبغضاء بين الناس والأهل والأصدقاء فتضعف الصلات، لذلك كانت أم الخبائث، ومفتاح الشرور قال(١) رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اجتنبوا أم الخبائث فإنه كان رجل ممن كان قبلكم يتعبد ويعتزل الناس، فعلقته(٢) امرأة فأرسلت إليه خادماً(٣): إنا ندعوك لشهادة، فدخل فطفقت(٤) كلما يدخل باباً أغلقته دونه، حتى إذا أفضى إلى امرأة وضيئة(٥) جالسة وعندها غلام وباطية(٦)، فيها

---

(١) رواه ابن حبان في صحيحه.

(٢) تعلقت به وأحبته.

(٣) واحد الخدم غلاماً كان أو جارية.

(٤) أي فجعلت الخادمة.

(٥) حسنة ذات بهجة.

(٦) اسم للإناء توضع فيه الخمر.

عمر فقالت : إني لم أدعك للشهادة ولكن دعوتك لتقتل هذا الغلام ، أو تقع علي ، أو تشرب كأساً من الخمر ، فإن أبيت صحت بك وفضحتك ، قال فلما رأى أنه لابد له من ذلك قال : اسقيني كأساً من الخمر ، فسقته كأساً من الخمر ، فقال : زيديني ، فلم تزل حتى وقع عليها ، وقتل النفس فاجتنبوا الخمر ، فإنه والله لا يجتمع إيمان وإدمان الخمر في صدر رجل أبداً ليوشكن أحدهما يخرج صاحبه » .

وقال صلوات الله وسلامه عليه(١) « لعن الله الخمر وشاربها وساقيها ومبتاعها(٢) وبائعها وعاصرها ومعتصرها(٣) وحاملها والمحمولة إليه وآكل ثمنها » .

أيها المسلمون :

كيف يستوي العاقل ف المجنون ، فأطيعوا الأمر ، وابتعدوا قل البعد عن الخمر تسلموا من شر مستطير ، وضرر كبير .

روى البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي والبيهقي ، عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« كل مسكر خمر ، وكل مسكر حرام ، ومن شرب الخمر في

---

(١) رواه ابن ماجه .
(٢) مشتريها .
(٣) طالب عصرها .

الدنيا ، فإنه وهو يدمنها ، لم يشربها في الآخرة(١) » .

وروى الطبراني ، عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يشرب الخمر ، من كان يؤمن بالله واليوم الآخر — فلا يجلس على مائدة يشرب عليها الخمر » .

---

(١) لفظ البيهقي في إحدى رواياته قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من شرب الخمر في الدنيا ، ولم يتب لم يشربها في الآخرة ، ولم يدخل الجنة » .

٥٠ – التحذير من الميسر « القمار »

الحمد لله : جعل السعادة والفلاح فى التمسك بالدين ، وأشهد أن لا إله إلا الله ، شرع للناس ما فيه خيرهم ، وهو الحكيم العليم ، وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله ، حذر من القمار ، السلامة من الضرر والعار . اللهم صل وسلم على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه الذين عرفوا الحق واتبعوه ، والباطل واجتنبوه ، فعاشوا كراماً أطهاراً ، وفارقوا الحياة أبراراً (لهم دار السلام عند ربهم وهو وليهم بما كانوا يعملون) .

أما بعد فقد قال الله تعالى : (يسألونك(١) عن الخمر والميسر قل

---

(١) يسألونك عن تعاطيهما ، وروى أنه نزل بمكة قوله تعالى : (ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكراً ورزقاً حسناً) ، فأخذ المسلمون يشربونها . ثم إن عمر ومعاذاً ونفراً من الصحابة قالوا : أفتنا يارسول الله فى الخمر ، فإنها مذهبة العقل مسلبة المال ، فنزلت هذه الآية : (يسألك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما) فشربها قوم وتركها آخرون ، ثم دعا عبد الرحمن بن عوف ناساً منهم فشربوا وسكروا فأم أحدهم فقرأ : (قل ياأيها الكافرون لا أعبد ماتعبدون) بدون لا ، فى الآية المذكورة ، فنزلت آية (ياأيهـــا الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون) فقل من يشربها ، ثم دعا عتبان بن مالك =

فيهما إثم كبير ومنافع(١) للناس وإثمهما(٢) أكبر من نفعهما) .

عباد الله :

من الناس من لم يعرف قيمة العمر ، ولم يبال بالحساب على ضياع أوقاته ، فيلعب القمار ، ثم يدفعه الطمع فى الكسب إلى التعلق به ،

= سعد بن أبى وقاص فى نفر ، فلما سكروا افتخروا وتناشدوا ، فأنشد سعد شعراً فيه هجاء الأنصار فضربه أنصارى بلحى بعير ، ولحى بفتح اللام هو عظم الحنك . وهو الذى عليه الأسنان فشجه ، أى شق جلده ، فشكا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال عمر رضى الله عنه اللهم بين لنا فى الخمر بياناً شافياً ، فنزلت الآيتان (يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر) إلى قوله (فهل أنتم منتهون) وقد سبق الكلام عليهما فى الخطبة السابقة ، فقال عمر رضى الله عنه : انتهينا يارب ، وقد تبين فى الخطبة السابقة أن الخمر اسم لكل مسكر خامر العقل أى غطاه وستره ، والخمر تذكر وتؤنث فيقال هو الخمر وهى الخمر . وقال الأصمعى الخمر أنثى وأنكر التذكير ، وسمى القمار ميسراً ، لأخذ مال الغير بيسر ، أو سلب يساره .

(١) بمثل التجارة بالخمر والتلهى بالميسر والتكسب به ، والتكسب بالميسر من أكل أموال الناس بالباطل ، وقد قال الله تعالى : (ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل) .

(٢) فى ذلك القول الكريم إرشاد إلى أن الشىء متى كان ضرره أكبر من نفعه حرم .

ويحمله حب القهر والغلبة على الاستمرار في لعبه : ويسوقه حب الانتقام إلى معاودته . وما كسب المقامر إلا سلب لنقود من كد فيها وتعب ، من غير أن يعوض عنها شيئاً ، ومن ذا الذي يرى غيره يتمتع بماله بدون مقابل ثم لا يحقد عليه ، ولا يضمر له أشد البغضاء ، ويكذب المقامران ويغالطان ويتخاصمان ويتسابان ، وبذلك — عن الفضيلة والشرف — يبعدان .

وبإضاعة المرء الوقت في القمار — يضيـــع الصلوات ، ويهمل الواجبات ، فلا يعود مريضاً ، ولا يواسي بائساً ، ولا يصل رحماً ، ولا يربي أولاداً ، ولا يرعى زوجة ، ولا يزور صديقاً ، ولا يتعاون مع مواطنيه على المشروعات العامة ، التي بها تسعد الأمة .

والمقامر بإفراطه في السهر ، وعدم راحة بدنه بالنوم — يصاب باختلال أجهزة الجسم ، ويعقبه الربط عند الخسارة احتراق الدم ، وقد يصاب — عند فقد ماله وصحته — باليأس والقنوط ، فينتحر مفضلاً الموت على حياة الفاقة والسقوط .

فالقمار شر وشقاء ، وعار وعداء وملهاة . عن عبادة الله ، ومضيعة للدين والأخلاق والمروءة ، ومدعاة للقسوة ومجافاة العواطف الإنسانية ، ومضرة بالمجتمع .

لذلك حرمه الإسلام ، وأمر باجتنابه ، فالسعيد الموفق لا يقامر ، ويبعد عن كل لعب فيه غرامة على المغلوب من اللاعبين للغالب ، والعاقل لا يلعب بالنرد أو النردشير وهو الطاولة ، واضعاً أمام عينيه

لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم(١) «من لعب بنرد أو نردشير فقد عصى الله ورسوله»، وقوله عليه الصلاة والسلام(٢): «من لعب بالنردشير فكأنما صبغ يده فى دم خنزير»، وقول الصحابى الجليل عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما(٣) «واللاعب بالنرد قارا كآكل

---

(١) رواه مالك، وتسمى "طاولة نردشير" نسبة لأول ملوك الفرس من حيث كونه أول من وضعه ذكره فى المهمات. وقال الفيروز ابادى فى القاموس وضعه أردشير بن بابك. ولهذا يقال النردشير. وقال البيضاوى فى شرح المصابيح يقال أول من وضعه سابور بن أردشير ثانى ملوك الساسان ولأجله يقال النردشير وشبه رقعته بالأرض، وقسمها أربعة أقسام تشبيهاً بالفصول الأربعة. وقال الماوردى. قيل إنه على البروج الإثنى عشر، والكواكب السبعة السيارة لأن بيوته اثنا عشر كالبروج، ونقطه من جانبى الفص سبع كالكواكب السبعة فعدل به إلى تدبير الكواكب والبروج، والبروج الاثنا عشر هى الحمل والثور والجوزاء والسرطان والأسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدى والدلو والحوت، وهى منازل الكواكب السبعة السيارة التى هى زحل والمشترى والمريخ والشمس والزهرة وعطارد والقمر.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه ابن أبى شيبة وابن أبى الدنيا.

لحم الخنزير ، واللاعب بها(١) من غير قمار كالمدهن بودك الخنزير » .

وطرق اللعب بالقمار كثيرة(٢) ، منها اللعب بالحمام ، واللعب بالضمنة والكلشينة وورق(٣) اليانصيب وكلها يبعد عنها العاقل ، ولو

---

(١) أى بلعبة النرد ، وفى تحريم اللعب بالنرد — وردت أحاديث وآثار كثيرة غير ماذكر هنا . منها ما أخرج البيهقى عن يحيى بن أبى كثير قال : مر صلى الله عليه وسلم على قوم يلعبون بالنرد فقال : « قلوب لاهية ، وأيد عاملة ، وألسنة لاغية » أى قائلة مالا يعتد به وما هو لغو وباطل ومنها ما أخرج ابن أبى الدنيا والبيهقى أنه صلى الله عليه وسلم قال : « اتقوا هذين الكعبين الموسومين اللذين يزجران زجراً فإنهما من ميسر العجم » ، وهذان الكعبان هما المعروفان بالزهر ، والتعويل فى النرد على ما يخرجانه فهو كالأزلام ، ومثل النرد فى التحريم كل لعبة يعتمد فيها على الحزر والتخمين ، أما اللعبة التى يعتمد فيها على الفكر والتأمل والحساب فهى مباحة كالشطرنج إن لم يله عن واجب أو يتخذ القمار ، ومما قيل فى الشطرنج أنه ينفع فى تدبير الحرب ، ونقل ابن أبى الدنيا عن ابن عباس وأنس بن مالك ومجاهد رضى الله عنهم أنه لافرق بين النرد والشطرنج ، وعن ابن عمر رضى الله عنهما أنه سئل عن الشطرنج أى عن لعبته فقال هى شر من النرد .

(٢) ومنها لعب سباق الخيل المعروف فى عصرنا ومنها لعب الطابة والسيجة وهما لعبتان معروفتان فى القرى ، وهما مع المراهنة ودفع مال من المغلوب للغالب قمار .

(٣) ولو كان القصد فيها جمع المال للجمعيات والمشروعات الخيرية ، فقد كان كذلك غاية قصد أهل الجاهلية فى قمار الأزلام ، وقد سبق بيانه .

خلت من القمار ، لأنه لا يرضى لنفسه أن يكون خالياً من عمل الدنيا والآخرة ، فهو راحة يقصد بها القوة على القيام بذلك العمل .

أيها المسلم :

اتق الله ولا تلعب القمار ، وابعد عن أماكنه ، ولا تحضر لعبه ـ فإنه من داء عضال (١) وشر ووبال .

روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من حلف فقال في حلفه باللات والعزى فليقل (٢) لا إله إلا الله ، ومن قال لصاحبه تعال أقامرك (٣) فليتصدق » (٤) .

---

(١) شديد .

(٢) فقول لا إله إلا الله لحالف باللات والعزى عند الغضب مثلا ـ كفارة لذكرهما في معرض التعظيم الموهم له ، واللات والعزى : اسما صنمين ، ولا ريب أن من حلف بهما قاصداً نوع تعظيم لهما ـ كفر .

(٣) في القاموس : قامره مقامرة وقماراً ، فقمره كنصره ، وتقمر : راهنه ، فغلبه .

(٤) أمر من يقول تعال أقامرك ـ بالصدقة ـ دليل على أن قوله ذلك معصية تحتاج إلى الصدقة كفارة لها ، فما بالنا بالقمار بالفعل .

٥١ — التحذير من الزنا

الحمد لله : حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، وأشهد أن لا إله إلا الله ، يحب من حافظ على عرضه وتحلى بالعفاف وبعد عن الفتن ، وأشهد أن سيدنا محمداً ، رسول الله . خير الطاهرين أهل الكمال اللهم صل وسلم على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه ، الذين عفوا عن الحرام ، وقنعوا بالحلال ، ففازوا بحسن الحال في الحال والمآل .

أما بعد : فقد قال الله تعالى : (ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلا) .

يحذر الله تعالى في هذه الآية الشريفة من الاقتراب من الزنا ، وما يؤدي إليه من النظر واللمس والاختلاط والخلوة بالأجنبية ، وذلك يقتضي التحذير من ارتكابه .

أيها المسلمون :

إن الزنا من أقبح الفواحش وأكبر القبائح ، مآل مرتكبه العار ، والسقوط في هاوية الذل والاحتقار ، (وساء سبيلا) : إنه طريق شر ، يؤدي إلى اختلاط الأنساب ، ويدعو إلى الشقاق والفساد ، وينشأ عنه الزهري والسيلان وغيرهما من الأمراض المعدية ، التي تقضي على الوالدين كما تقضي على الذرية ، ومتى فشا الزنا في أمة أحاط بها البلاء ، وعمها الوباء ، وكان مصيرها الفناء : قال سيد الأنبياء ، صلوات الله وسلامه عليه(١) « ما ظهر في قوم الزنا أو الربا إلا أحلوا بأنفسهم عذاب الله » .

---

(١) رواه أبو يعلى .

وإذا زنت امرأة امتد قبح فعلتها إلى غيرها من نساء أسرتها ، ويجني الزاني على نفسه شراً ، وعلى أسرته شراً ، فهو بفعلته الدنيئة قدوة سيئة لأبنائه وبناته وزوجه ، لذلك شرع الله تعالى الرجم(١) بالحجارة : جزاء ان زنى من ذكر أو أنثى ، وهو ثيب ، وجعل جزاء من زنى ، وهو لم يسبق له زواج ، مائة(٢) جلدة : يجلدها بلا رأفة ، ويشهد طائفة من المؤمنين ، ليكون أوجع لقلبه ، مع وجع بدنه ، وأعد سبحانه في الآخرة للزناة عذاباً أليماً : قال صلى الله عليه وسلم(٣) : « لما عرج بي مررت برجال تقرض جلودهم بمقاريض من نار ، فقلت من هؤلاء ، يا جبريل ؟ قال : الذين يتزينون للزينة ، قال ثم مررت بجب منتن ، فسمعت فيه أصواتاً شديدة ، فقلت : من

---

(١) يدل لذلك أن مسلماً روى في صحيحه عن عمران بن حصين رضي الله عنه أن امرأة أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهي حبلى من الزنا قالت يارسول الله إني أصبت حداً فأقمه علي ، فدعا نبي الله صلى الله عليه وسلم وليها ، فقال « أحسن إليها ، فإذا وضعت فأتني بها » ففعل ، فأمر بها نبي الله صلى الله عليه وسلم ، فشدت عليها ثيابها ثم أمر بها فرجمت ، ثم صلى عليها ، فقال له عمر تصلي عليها يارسول الله وقد زنت ؟ قال « لقد تابت توبة لو قسمت بين سبعين من أهل المدينة لوسعتهم ، وهل وجدت أفضل من أن جادت بنفسها لله عز وجل » .

(٢) قال الله تعالى في القرآن الكريم : (الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ، ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين) .

(٣) رواه البيهقي .

هؤلاء يا جبريل؟ قال: نساؤكم يتزين الزينة، ويفعلن ما لا يحل لهن».

فكيف يجرؤ على الزنا عاقل رشيد، مؤمن بذلك العقاب الشديد والعذاب الأليم.

إن العاقل من اهتدى بقول الله تعالى: (قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون).

وإن الشباب السعيد يستجيب لنداء رسول الله صلى الله عليه وسلم(١) «يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة - مؤن الزواج ونفقاته - فليتزوج، فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء(٢)، أي قاطع لاشتياقه.

والمؤمن يأخذ بنصح النبي صلى الله عليه وسلم(٣): «لا يخلون أحدكم بامرأة إلا مع ذي محرم».

والمسلم ينتبه لقوله صلوات الله وسلامه عليه(٤): «لأن يطعن

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) الوجاء: رض عروق البيضتين حتى تنفضخا من غير إخراج فيكون شبيهاً بالخصاء لأنه يكسر الشهوة، والرض الدق والكسر. وقال الإمام الفيومي في المصباح: الفضخ: كسر الشيء الأجوف وهو مصدر من باب نفع وفضخت رأسه فانفضخ أي ضربته فخرج دماغه.

(٣) رواه البخاري ومسلم.

(٤) رواه الطبراني والبيهقي.

فى رأس أحدكم بمخيط (١) من حديد خير له من أن يمس امرأة لا تحل له

أيها المستمع المنصف :

أترضى (٢) أن يعتدى أحد على حرمة ابنتك أو زوجتك أو أمك أو أختك أو عمتك أو خالتك ، فكيف ترضى ذلك الاعتداء على حرم أخيك المسلم ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (٣) : « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » .

ألا إن من هتك عرض أخيه هتك الله عرضه ، ومن تعرض للضرر أصابه : قال صلوات الله وسلامه عليه (٤) : « البر لا يبلى ، والذنب

---

(١) ما يخاط به كالإبرة والمسلة .

(٢) روى الإمام أحمد عن أبى أمامة رضى الله عنه أن غلاماً شاباً أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : يا نبى الله أتأذن لى فى الزنا ؟ فصاح الناس به ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : أتحبه لأمك ؟ قال : لا ، جعلنى الله فداءك ، قال كذلك الناس لا يحبونه لأمهاتهم ، أتحبه لابنتك ؟ قال : لا ، جعلنى الله فداءك ، قال كذلك الناس لا يحبونه لبناتهم ، أتحبه لأختك ؟ وزاد ابن عوف أنه ذكر العمة والخالة وهو يقول فى كل واحدة : لا ، جعلنى الله فداءك ، فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده على صدره ، وقال : « اللهم طهر قلبه ، واغفر ذنبه ، وحصن فرجه » فلم يكن شىء أبغض إليه منه ، يعنى الزنا » .

(٣) رواه البخارى ومسلم .

(٤) رواه البيهقى .

لا يفنى ، والديان لا يموت ، اعمل ما شئت ، كما(١) تدين تدان » .

أيها المسلم :

اتق الله وتنبه لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم(٢) : « بروا آباءكم تبركم أبناؤكم ، وعفوا تعف نساؤكم » . وحافظ على إيمانك وعرضك وشرفك بالبعد عن الزنا ودواعيه ، فابعد عن النساء الأجنبيات ، اللاتي لا يحل لك النظر إليهن ، ولا لمسهن ، ولا الاختلاط والخلوة بهن (ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيماً)

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن » وفي رواية : « فإذا فعل ذلك خلع ربقة(٣) الإسلام من عنقه ، فإن تاب تاب الله عليه » .

---

(١) كما تجازي تجازى بفعلك ، وبحسب ما عملت .

(٢) رواه الطبراني .

(٣) الربقة ـ في اللغة ـ العروة ، والمراد عقد الإسلام وعهده ، فمعنى خلع ربقة الإسلام من عنقه . خرج عن حدوده التي التزمها ، وعاهد الله عليها .

٥٢ - فضل يوم عاشوراء

الحمد لله : جعل في حوادث الأيام ذكرى ، وأشهد أن لا إله إلا الله ، من اتقاه غفر له ذنبه ، وأعظم له أجراً ، وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله ، أفضل من ذكر بأيام الله ، اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ، الذين تأدبوا بآدابه (أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب) .

أما بعد : فقد قال الله تعالى : (ولقد أرسلنا موسى بآياتنا أن أخرج قومك من الظلمات إلى النور وذكرهم بأيام الله إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور) .

أيها المسلمون :

كانت حياة رسولنا الكريم ، صلى الله عليه وسلم ، بالمدينة المنورة ، دار هجرته - حافلة بالمعاني الإنسانية ، عامرة بنشر المبادىء القويمة ، التي سعد بها العالم ، في تلك المدة الزاهرة من الزمن - بلغ صلوات الله وسلامه عليه من أحكام الدين ، وأقوم النظم ما بدد ظلمات الحياة ، وأصلح أمر الناس وكفل الخير لهم ، ورتق مجتمعهم ، ودعا بالقول وبالعمل إلى أن تسود المحبة بين الناس ، وأن يكون الشعور الإنساني حياً بينهم ، وأن يكون ميزان التقدير بينهم الحق لا الهوى ، ليعيشوا في هناء وسلام .

قدم(١) صلى الله عليه وسلم المدينة فوجد اليهود صياماً يوم عاشوراء فقال لهم : ما هذا اليوم الذي تصومونه ؟ فقالوا : هذا يوم عظيم

(١) رواه مسلم .

انجى الله فيه موسى وقومه ، وغرق فرعون ، وقومه ، فصامه موسى شكراً ، فنحن نصومه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « فنحن أحق وأولى بموسى منكم ، فصامه وأمر بصيامه » .

لقد رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم احتفال موسى رسول الله وكليمه ، وحليف الحق ونصيره ، بيوم عاشوراء ، يوم نجاته وقومه ، بتأييد الله وعونه ، وإهلاك أعدائهم ، فرعون ، ملك مصر ، رأس الظلم والفساد ، وقومه ، أنصاره فى ضلاله — احتفالا لائقاً بجلال النعمة وعظم المنة ، مجاراة لنصرة الحق ، فأعلن صلى الله عليه وسلم تأييده فى احتفاله ، فصام ذلك اليوم السعيد ، يوم عيد نصر الحق ، وإزهاق الباطل ، وأمر بصيامه ، شكراً لله ، الملك الحق ، ناصر الحق ومؤيد الصالحين ، وخاذل المبطلين ، ومذل المفسدين .

عبد الله :

إن يوم عاشوراء من أيام الله ، التى يتذكر بحوادثها الناس فيفلحون ، فاذكر أن الله تعالى فيه نصر موسى وقومه بعد صبر على الشدائد ، وإذلال من طاغية مصر وقومه ، أنصار الظلم ، وأعوان الفساد : (وتمت كلمة ربك الحسنى على بنى إسرائيل بما صبروا ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون . وجاوزنا ببنى إسرائيل البحر) « واعلم (١) أن النصر مع الصبر » واذكر أن موسى عليه السلام صامه شكراً لله على نصره ، وأن رسولنا الكريم ، ناصر الحق بالحق - صامه ورغب فى صيامه ، وقال : يكفر (٢) السنة الماضية ، وفى الصيام تذكير بحال المحتاجين ، فتشتاق النفس إلى مد يد المعونة لهم .

(١) جزء من حديث نبوى شريف رواه عبد بن حميد وغيره .
(٢) رواه مسلم .

وقد جاء عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال (١) : « من أوسع على عياله وأهله يوم عاشوراء أوسع الله عليه سائر سنته » .

أيها المسلم :

ذلك هو العمل الصالح في يوم عاشوراء : صيام لمن أحب الخير ، ورغب في الثواب ، ومغفرة الذنوب ، وصدقة يبذل لمحتاجيه ، وإشاعة السرور في البيوت بالتوسيع على الأهل والعيال فاتق الله واحرص على ذلك العمل الصالح ، في ذلك اليوم المبارك ، لتكسب الخير في دنياك وأخراك .

روى الإمام أحمد في مسنده ، والبيهقي في السنن عن ابن عباس رضي الله عنهما — أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « صوموا يوم عاشوراء ، وخالفوا اليهود ، صوموا يوماً قبله ، ويوماً بعده » .

وروى الترمذي ، وابن حبان ، وابن ماجه ، عن أبي قتادة الأنصاري رضي الله عنه — أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « صيام يوم عرفة إني أحتسب (٢) على الله أن يكفر السنة التي قبله والسنة التي بعده وصيام يوم عاشوراء إني أحتسب على الله أن يكفر السنة التي قبله » .

---

(١) رواه البيهقي وغيره من طرق ، ومن جماعة من الصحابة ، وقال البيهقي هذه الأسانيد ، وإن كانت ضعيفة ، فهي إذا ضم بعضها إلى بعض أخذت قوة .

(٢) أي أرجو أن يكفر الله به الخ ، وعبر الرسول صلى الله عليه وسلم هذا التعبير ليعلمنا الأدب مع الله ، حتى لا نجزم عليه بحكم من الأحكام الغيبية ، لا ندري أهو عنده تعالى كما حكمنا أم لا ؛ ولأن تكفير السيئات يكون إذا قبل الله تعالى الصيام ولم يكن هناك سبب لرده على صاحبه ، كالإعجاب ، فإنه لا ينفع معه عمل ، والإعجاب : أن تعتقد في نفسك أنك وصلت في الإخلاص إلى درجة بها لا يرد الله لك عملا ، نعوذ بالله منه .

وروى ابن أبي شيبة، عن أبي هريرة رضي الله عنه — أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «صوموا يوم عاشوراء: يوم كانت الأنبياء تصومه».

وروى البخاري ومسلم، عن ابن عباس: رضي الله عنهما «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم - صام يوم عاشوراء وأمر (١) بصيامه».

---

(١) اتفق العلماء على أن صوم يوم عاشوراء - الآن - سنة؛ ليس بواجب، واختلف في حكمه، في أول الإسلام حين شرع صومه قبل صوم رمضان؛ فقيل: واجب، وقيل: مستحب. والله أعلم.

٥٣ – خطبة البعث

الحمد لله العلى القادر، العزيز القاهر، العليم الحكيم، وأشهد أن لا إله إلا الله، ذو الجلال والاكرام، الرحمن الرحيم، وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله، المبعوث رحمة للعالمين، ذو الخلق العظيم، والقلب السليم، اللهم صل وسلم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه، الذين حملوا من بعده علم الهداية، ودعوا إلى الصراط المستقيم، فعاشوا أعزاء، وفارقوا الحياة سعداء (تجرى من تحتهم الأنهار فى جنات النعيم).

أما بعد: فأمام كل إنسان طريقان:

طريقة ممهدة، مشرقة جميلة، يحفها الروح والريحان، ويحيط بها الجمال من كل مكان، أولها اليقين والايمان ومراحلها الاستقامة وطاعة الرحمن، ونهايتها الجنة والرضوان: (إن المتقين فى جنات ونهر. فى مقعد صدق عند مليك مقتدر).

وطريق مقفرة، موحشة مظلمة مهلكة، أولها الجحود والنكران، ومراحلها الإثم والعصيان، وآخرها الجحيم والنيران. (فأما من طغى وآثر الحياة الدنيا. فإن الجحيم هى المأوى) ولا يستوى الطريقان أبداً: (أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لا يستوون. أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى نزلا بما كانوا يعملون. وأما الذين فسقوا فمأواهم النار كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذى كنتم به تكذبون).

فسر – أيها العاقل – فى طريق الطاعة، واكسب خير دنياك وآخرتك، اللهم وفقنا لطاعتك، وامنحنا عنايتك، وآمنا فى أوطاننا

وألف بين قلوبنا ، وأصلح لنا ديننا ودنيانا وآخرتنا ، وانصرنا على أعدائنا ، وأيد جيشنا بنصرك العزيز ، واغفر لنا أجمعين ، وللمؤمنين والمؤمنات يارب العالمين .

عباد الله :

قال الله تبارك وتعالى : (إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون).

كلمة الختام

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة ، فيه خلق آدم ، وفيه دخل الجنة ، وفيه أخرج منها» ، رواه مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي . ورواه ابن خزيمة في صحيحه بلفظ : «ما طلعت الشمس ولا غربت على يوم خير من يوم الجمعة : هدانا الله له وضل الناس عنه ، فالناس لنا فيه تبع ، فهو لنا ، واليهود يوم السبت ، والنصارى يوم الأحد ، إن فيه لساعة(١) لا يوافقها مؤمن يصلي يسأل الله شيئا إلا أعطاه» .

---

(١) روى مسلم عن أبي موسى رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول : «هي ما بين أن يجلس الإمام - أي الخطيب على المنبر - إلى أن تقضى الصلاة» أي تنتهي ، وروى أبو داود والنسائي والحاكم وصححه عن جابر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : «يوم الجمعة ثنتا عشرة ساعة ، منها ساعة لا يوجد مسلم يسأل الله شيئاً إلا آتاه الله عز وجل ، فالتمسوها آخر ساعة بعد العصر» أي اطلبوها آخر ساعة من النهار إلى الغروب ، ولا يقال تلك ساعة لا يصلي فيها ، والرسول ﷺ قال : «لا يوافقها» أي يصادفها «مؤمن يصلي» ، فقد روى الترمذي عن عبد الله بن سلام أنه صلى الله عليه وسلم قال : «من جلس ينتظر الصلاة فهو في صلاة» .

وما ورد فى التنويه بيوم الجمعة قول رسول الله ﷺ: «أقربكم منى فى الجنة أكثركم على صلاة ، فأكثروا الصلاة على فى الليلة(١) الغراء واليوم الأزهر(٢) » . رواه الشافعى والبيهقى ، وقوله ﷺ: «أكثروا الصلاة على يوم الجمعة فإنى أبلغ وأسمع » رواه الشافعى وابن ماجه . وقوله ﷺ: : « إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة ، فيه خلق آدم ، وفيه قبض ، وفيه النفخة[٣] وفيه الصعقة ، فأكثروا على من الصلاة فيه ، فإن صلاتكم معروضة على ، قالوا يارسول الله ، وكيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت — أى بليت — فقال : إن الله عز وجل حرم[٤] على الأرض أجساد الأنبياء » رواه أبو داود والنسائى .

وروى ابن ماجه عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن هذا يوم عيد جعله الله للمسلمين ، فمن جاء الجمعة فليغتسل ، وإن كان طيب فليمس منه وعليكم بالسواك » .

---

(١) ليلة الجمعة .

(٢) يوم الجمعة

(٣) النفخة هى النفخ فى الصور ، والصعقة : هى الصيحة ، وهى الصوت الهائل الذى يموت الخلق من هوله ، وهى لازمة النفخة الأولى ، قال الله تعالى : (ونفخ فى الصور فصعق من فى السموات ومن فى الأرض إلا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون)

(٤) أى فلا تأكلها .

وفى ذلك اليوم الأزهر ، يوم الجمعة المبارك — يعقد المسلمون مؤتمرهم الاسبوعى ، فيجتمعون فى أشرف أماكنهم — المساجد — ليتعارف المتناكرون ، ويتقرب المتباعدون ، ويتصافى المتعادون ، ويتجدد عهد الود بين المتصادقين ، والاخوان المتحابين ، وليسمعوا من خطبائهم ما فيه صلاح دينهم ودنياهم ، والخير لأخراهم — لذلك — أمر الله بالسعى إلى صلاة الجمعة ، إذا حان وقتها ، وأذن المؤذن يدعو لها ، وحذر من التأخر عنها : قال الله تعالى : (يأيها الذين آمنوا إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا (١) البيع ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون) ، وقال الرسول صلى الله عليه وسلم (٢) : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فعليه الجمعة إلا مريضاً أو مسافراً ، أو امرأة ، أو صبياً ، أو مملوكا ، فمن استغنى بلهو أو تجارة استغنى الله عنه ، والله غنى حميد » . وقال صلى الله عليه وسلم (٣): « لقد هممت أن آمر رجلا يصلى بالناس ثم أحرق على رجال يتخلفون عن الجمعة بيوتهم » . وقال صلوات الله وسلامه عليه (٤) : « لينتهين أقوام عن ودعهم (٥) الجمعات ، أو ليختمن الله على قلوبهم ، ثم ليكونن

(١) واتركوا.
(٢) رواه الدار قطنى .
(٣) رواه مسلم .
(٤) رواه مسلم .
(٥) تركهم .

من الغافلين ، وقال صلى الله عليه وسلم (١) : « من ترك ثلاث جمع تهاوناً (٢) بها طبع (٣) الله على قلبه » .

ومن هنا لايتأخر المؤمن الرشيد عن صلاة الجمعة ، ويسعى إليها فى حرص واهتمام بأمرها ، وأمام عينيه قول الرسول صلى الله عليه وسلم (٤) : لايغتسل رجل يوم الجمعة ، ويتطهر ما استطاع من الطهر (٥) ، ويدهن من دهنه (٦) ويمس من طيب (٧) بيته ، ثم يخرج فلا يفرق بين اثنين ، ثم يصلى ما كتب له ، ثم ينصت إذا تكلم الإمام إلا غفر له ما بينه (٨) وبين الجمعة الأخرى » .

وإن المهتم بالخير يوم الجمعة ، الحريص على نيل المستطاع منه «

---

(١) رواه أحمد وأبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجة .

(٢) أى من غير اهتمام بأدائها .

(٣) أى ختم عليه وغطاه ومنعه الألطاف وقبول المواعظ والحق

(٤) رواه البخارى ومسلم .

(٥) ويتنظف ويبالغ فى النظافة فيحلق العانة وينتف الإبط ويقص الأظفار والشارب .

(٦) الدهن : مايطلى به الشعر عند تسريحه وربما كان فيه طيب ، ففيه إشارة إلى تسريح الشعر إن كان .

(٧) امرأته أو الطيب الذى فى بيته .

(٨) ما بين جمعته الحاضرة والتى قبلها .

الساعى إلى الغفران — لا يفوت على نفسه فوائد الخطبة . روى أبو داود أنه صلى الله عليه وسلم قال : (احضروا الذكرى وادنوا من الامام ، فإن الرجل لا يزال يتباعد حتى يتأخر عن الجنة وإن دخلها) .

وروى مسلم عن جابر بن سمرة أنه قال : (كانت للنبى صلى الله عليه وسلم خطبتان ، يجلس بينهما يقرأ القرآن ، ويذكر الناس ، فكانت صلاته قصداً(١) وكانت خطبته قصداً) .

وروى مسلم أيضاً أنه صلى الله عليه وسلم قال : (إن طول صلاة الرجل وقصر خطبته مئنة (٢) من فقهه ، فأطيلوا الصلاة واقصروا الخطبة ، وإن من البيان سحراً) .

ولكن إلى أى حد يكون القصد فى الخطبة ، وإنى لاضع بين يديك — أيها الفطن — أحاديث شريفة تنطق بأن ما ورد فى مثل هذا الديوان من خطب فيها بعض إطناب للحاجة إليه — ليس بعيب فاقرأ وبالله تعالى التوفيق :

١ — روى مسلم عن أم هشام بنت حارثة بن النعمان قالت : ما حفظت ق إلا من فى رسول الله صلى الله عليه وسلم(٣) يخطب بها كل جمعة .

---

(١) القصد فى الشىء : الاقتصاد وعدم التطويل ، أو التوسط بين الافراط والتفريط .

(٢) مظنة وعلامة على فقهه .

(٣) فى التزام الرسول ﷺ سورة ق كل جمعة شاهد على أنه =

٢ — وروى البخارى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قرأ (١) يوم الجمعة على المنبر بسورة النحل ، حتى إذا جاء السجدة ، نزل فسجد وسجد الناس ، حتى إذا كان الجمعة القابلة قرأ بها ، حتى إذا جاء السجدة قال : يا أيها الناس إنا نمر بالسجدة ، فمن سجد فقد أصاب ، ومن لم يسجد فلا إثم عليه ، ولم يسجد عمر رضى الله عنه .

وغنى عن الذكر أن سيدنا عمر ممن يقتدى بهم ، فهو من الخلفاء الراشدين المهديين ، الذين قال فيهم الرسول ﷺ « عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين » ، رواه أبو داود والترمذى .

٣ — وروى عبد بن حميد فى مسنده عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قرأ فى خطبته بالمائدة والتوبة ، أى كان بعض إحدى الخطبتين بمجموع السورتين .

٤ — وروى مسلم أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : صلى بنا رسول الله ﷺ الفجر ، وصعد المنبر ، فخطبنا حتى حضرت الظهر ، فنزل فصلى ، ثم صعد المنبر فخطبنا حتى حضرت العصر ، ثم نزل فصلى ثم

= لا عيب فى التزام خطبة النعت ، ولم تكن كل إحدى خطبتيه هذه السورة وحدها : وروى مسلم عن جابر رضى الله عنه أنه قال : كانت خطبة النبى ﷺ يوم الجمعة يحمد الله ويثنى عليه .

(١) فلو كان الدين يأبى تلك الإطالة لأنكر سامعوه عليه .

صعد المنبر فخطبنا حتى غربت الشمس ، فأخبرنا بما (١) كان وبما هو كائن فأعلمنا أحفظنا .

وهذه الخطبة — وإن لم تكن فى يوم جمعة — تدل دلالة واضحة على أنه ينبغى للخطيب أن يجهر بما يقتضيه الحال . وينبغى للمؤمنين أن يقبلوا عليه لأنه من أجل فائدتهم يطيل .

ولقد منّ الله تعالى بإكمال الجزء الثانى من ديوان الخطب المنبرية العصرية ، وإنى لأدعو الله تعالى — أن يجعل خطبه عامرة بالذكرى وأن يوجه القلوب إليها .

والحمد لله أولا وآخراً وظاهراً وباطناً ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الأطهار أهل الكمال ؟

محمد مصطفى أبو العلا
الشهير بحامد

---

(١) أى من حوادث الدنيا .

فهـــرس

الجزء الثـانى من الديوان

صحيفة	الموضوع

صحيفة	الموضوع

صحيفة — الموضوع

صحيفة	الموضوع

صحيفة	الموضوع

صحيفة	الموضوع

صحيفة	الموضوع

صحيفة الموضوع

صحيفة | الموضوع

صحيفة الموضوع

صحيفة الموضوع

صحيفة	الموضوع

صحيفة	الموضوع

صحيفة　　　　الموضوع

صحيفة ‏ ‏ الموضوع

تم الفهرس والحمد لله أولا وآخراً

